

الفصل الحادي عشر

الدعوة للسلاح

تشرين الثاني ١٢.٣ - شباط ١٢.٤

وغاب الامبراطور الكسيوس زمنا طويلا في رحلته في أنحاء الامبراطورية ، ولم يعد في الواقع الى القسطنطينية حتى عيد سانت مارتن ، وكان هناك سرور عظيم لدى وصوله ، وركب أمراء الروم وسيداتهم منطلقين من المدينة في مواكب طويلة لتحية أهديائهم ، وجاءت جماعتنا أيضا للقاء رفاقهم الصليبيين ورحبوا بهم بحبور عظيم ، وبعد دخول القسطنطينية ، عاد الامبراطور الى قصر بلاشرين وعاد المركيز دي مونتفرات والبارونات الآخرون الى المعسكر .

وسريعا جدا شعر الامبراطور الشاب الذي تدبر أموره بشكل جيد جدا بالذقة في أنه قد كسب الآن اليد العليا مما ملأه عجبا ، واتخذ موقفا متعجرفا مع البارونات والذين قدموا له تلك الخدمة العظيمة ، ولم يعد يأتي لزيارتهم في المعسكر كما كان يفعل من قبل . وكانوا يرسلون اليه باستمرار يرجونه أن يدفع لهم باقي المال المستحق ، واستمر من جانبه في تسويقهم ومن أن الآخر كان يرسل اليهم مبالغ تافهة محددة ، ولكنه في النهاية انقطع عن دفع أي شيء لهم بالمرّة .

ونهب المركيز دي مونتفرات الذي فعل الكثير من أجل الامبراطور وكان على علاقات ودية به أفضل من بقية البارونات الآخرين مرارا لرؤيته ، وكثيرا ملامه في تلك المناسبات على الخطأ الذي كان يقع فيه تجاههم ، ولم يتوقف مطلقا عن بيان أنهم قدموا له من

الخدمات اعظم مما قدم لأي رجل آخر، ولكن الامبراطور كان دائما يطلب مهلة جديدة، ولم يحافظ مطلقا على أي من وعوده ، حتى أن البارونات اضطروا في النهاية الى الادراك بأنه أيا كانت مقاصده تجاههم فإنها كانت أي شيء آخر الا أن تكون طيبة .

وعند هذه النقطة عقدوا اجتماعا مع دوج البندقية ، قالوا فيه إنهم قد توصلوا الآن الى ادراك أن الامبراطور ليس في نيته الوفاء بأي اتفاق أبرمه معهم ، وأنه لم يخبرهم بالحقيقة ، وبناء عليه قرروا أن يرسلوا مبعوثين موثوقين ، لمواجهة وتذكرته بالخدمات التي قدموها له وطالبوه بالوفاء بعهده فاذا عرض أن يفعل ما يطلبونه فان مبعوثيهم سيقبلون ذلك ، وان لم يفعل فانهم سيضطرون لتحديه وسيدعونه يعرف أن البارونات سيفعلون كل ما في مقدرتهم لاسترداد المال المستحق .

وكان المبعوثون المختارون لهذه المهمة بموافقة عامة هم راهب دي بيثون وجيوفري دي فيلهارين ، ومارشال دي شامبين ، وميلون لوبريانت دي بروفان الى جانب ثلاثة من مستشاري دوج البندقية الرئيسيين الذين عينهم للذهاب مع المجموعة وركبوا جميعهم خيولهم معا والسيوف على جنوبهم الى قصر بلاشرين ، ولا حاجة للقول بالنسبة للطبيعة الخيانية للروم . فقد وجدوهم قد شرعوا في تنفيذ مهمة صعبة وخطرة .

وترجلوا عند البوابة ودخلوا القصر حيث وجدوا الامبراطور الكسيوس ووالده الامبراطور اسحق يجلسان على عرشين جنبا الى جنب ، وعلى مقربة منهما تجلس الامبراطورة زوجة الأب وخالة الامبراطور الابن ، وهي سيدة طيبة وجميلة وكانت اخت ملك هنغاريا ، وكان عدد كبير من المرتبة الراقية حاضرين معطية الاجتماع كل السمات الموحية ببلاط قوي .

وبموافقة مشتركة من المبعوثين الآخرين عمل راهب دي بيثون ، وهو رجل عالي الذكاء زلق اللسان ، كناطق رسمي لهم ، وشرع

يقول : يا صاحب الجلالة الامبراطورية لقد جنناكم نيابة عن بارونات الجيش ودوج البندقية ، وهم يريدون منا أن نذكركم بالخدمات التي قدموها لكم وهي معروفة للجميع ، ومعترف بها من الجميع وقد اقسمتم انتم ووالدكم على الوفاء بميثاقكم معهم ولبيهم عقودكم التي تثبت ذلك ، وانكم مع ذلك ، لم تنفذوا هذا الاتفاق كما توجب عليكم ان تفعلوا .

وقد دعاكم يامولانا امراؤنا مرات عديدة كي تفعلوا ذلك ، ونحن الآن ندعوكم باسمهم وبحضور كل نبلائكم أن تنفذوا العقد المبرم بيننا وبينكم فإذا فعلتم ذلك سسيكونون في غاية السرور ، وان لم تفعلوا فانهم لن يعودوا يعتبرونكم اميرا وصديقا لهم بل سيستخدمون كل وسيلة في وسعهم للحصول على استحقاقهم ، وقد طلبوا منا أن نخبركم انهم لن يفعلوا شيئا يصيبكم أو يضر بأي شخص اخر بدون إنذار مشروع بذواياهم في بدء الخصومة ، لأنهم لم يتصرفوا مطلقا بشكل خياني ، فهذه ليست العادة في بلادهم ، لقد سمعتم الآن ما علينا أن نقوله والامر لكم لتقرير اي إجراء تريدون اتخاذه .

وكان الروم في غاية الدهشة وصدموا بعمق بهذه الرسالة الصريحة في تحديها ، واصلوا انه مامن احد حتى الان بلغت به الجراءة حد القيام بمثل هذا لامبراطور في القسطنطينية في قاعته وعبس الامبراطور الكسيوس نفسه الذي كثيرا جدا ما حياهم في الماضي بوجه باسم ، لقد قطب الان وحدق بضراوة في المبعوثين وكذلك فعل كل الروم الاخرين .

وملا ضجيج الاصوات الفاضحة القاعة - وتحول المبعوثون للانصراف ، وأخذوا طريقهم نحو البوابة وامتطوا خيولهم ولم يكن احد بينهم الا بالغ السرور إذ وجد نفسه في الخارج ولم يكن هذا مدهشا بالمرة إذ انهم بالكاد قد نجوا من خطر كبير جدا سواء بالقتل او السجن ، وفي عودتهم الى المعسكر اخبروا البارونات كيف نفذوا مهمتهم .

و هكذا بدأت الحرب وبذل كل جانب قصارى جهده لايذاء الاخر
سواء في البر أو البحر ، وحارب الجيشان ضد بعضهما بعضا في
أماكن عديدة مختلفة ولكن - والله الحمد - إنهم لم يلتقوا مطلقا في
معركة بدون خسائر اكبر من الجانب الرومي منها من الجانب
الفرديسي ، واستمرت الحرب زمانا طويلا جدا ، في وسط الشتاء
بالتضيق .

وأخيرا فكر الروم في وضع خطة مرعبة جدا موضح التنفيذ ،
فأخذوا سبع عشرة سفينة عظيمة وملأوها تماما بكتل الخشب
والنشارة والقار وخيوط الكتان والبراميل الخشبية ، ثم انتظروا
حتى أخذت الرياح تهب من جانب الماء الذي هم فيه ، وفي الساعة
الثانية عشرة من إحدى الليالي اشعلوا النار في السفن وتركوها
تدسب وجميع أشرعتها مذبذبة للرياح ، وارتفع اللهب منها عاليا
جدا حتى بدا كما لو أن الينا كلها كانت مشتعلة .

واتجهت السفن مبحرة في اتجاه اسطول الصليبيين ، وصحبت
أبواق الانذار وقفز الرجال من كل مكان في المعسكر الى السلاح ،
وأسرع البنادقة والأخرون الذين كانت لديهم سفن الى ظهورها ،
وكافحوا بكل قوتهم البنية لاجراجها من مجال الخطر . ويؤكد
جيوغرافي دي فيلهارين الذي صنف هذا التاريخ ، وكان شاهد عيان
لهذه الحادثة ، أنه لم يدافع أي رجال عن أنفسهم مطلقا في البحر
بشهادة أكثر مما فعل البنادقة في تلك الليلة ، لقد وثبوا الى الشواني
والى المراكب الطويلة وفي وجه العدو ، أمسكوا بسفن النار وكلها
متأججة باللهب بكلايات حديدية وأخذوا يجرونها بقوة الى خارج
الميناء في التيار الرئيس للمضيق ، وتركوها لتتجرف محترقة الى
البحر .

وجاء كثير من الروم الى حافة الماء حتى بدأ أنهم بلا
نهاية ، وكانت الجلبة التي صدرت عنهم عظيمة حتى لتظن أن كلا
من الارض والبحر ابتلعا ، وتسلقوا أي قارب أمكنهم أن

يجدوه ، وأخذوا يطلقون سلاحهم نحو رجالنا كما لو كانوا يحاربون اللهب ، حتى أن كثيرا منهم قد جرح .

وحالما سمعوا الدعوة الى حمل السلاح ، تاهب كل الفرسان في المعسكر وانتظمت كتائبنا الآن في نظام عشوائي نوعا ما ، تبعنا للمسافة التي كانت تفصلهم عن مراكزهم ، وكانوا يخشون أن يتقدم الروم من ذلك الاتجاه لمهاجمتهم .

وتحمل رجالنا كل هذا الكدح والكرب حتى ظهر الضوء ، ولكننا بعون الرب لم نلقد شيئا سوى سفينة تجارية محملة ببضائع من بيزا اشتعلت فيها النيران وغرقت ، لقد كنا جميعا في خطر محقق تلك الليلة ، لأنه لو احترق اسطولنا لضاع كل شيء منا ولما تمكنا من النجاة سواء بطريق البحر او البر ، وهكذا كان الجزء الذي اراده الامبراطور الكسيوس لنا عن الخدمات التي قدمناها له .

والآن وقد أبدى الروم مثل هذا الموقف العدائي للفرنجة أدرك بعضهم أنه لا أمل هناك في السلام ، لهذا تأمروا معا سرا على خيانة أميزهم ، وكان بينهم واحد كان موضع اعتبار الامبراطور ، وكان قد فعل الكثير ليوثق بينه وبين الفرنجة أكثر من أي واحد آخر ، وكان اسم ذلك الرجل مرزوفلوس .

وبالعمل بنصيحة وموافقة الآخرين ، وفي احدى الليالي وفي نحو الساعة الثانية عشرة ، وبينما كان الامبراطور الكسيوس نائما في غرفته انتزع مرزوفلوس وآخرون ممن كان يفترض أنهم يحرسونه ، انتزعوا الامبراطور من فراشه واقتادوه الى السجن والقوا به في برج محصن ، ثم بمساعدة وموافقة الروم الآخرين ارتدى مرزوفلوس الاحذية القرمزية ، وجعل من نفسه امبراطورا ، وتوج فيما بعد في سانت صوفيا ، وهل سمعت أبدا بشعب ارتكب مثل هذه الخيانة الشنيعة !

وعند سماع أن ابنه قد أخذ سجيننا وأن مرزوفلوس قد توج بدلا

عنه ، غلب على الامبراطور اسحق الخوف حتى وقع في المرض وتوفي في برهة قصيرة من الزمن ، أما بالنسبة لابن اسحق الذي وضعه مرزو فلوس في السجن ، فانه قد أمر باعطائه السم مرتين أو ثلاثة ولكن لم تكن مشيئة الرب أن يموت بهذه الطريقة ، وفيما بعد ذهب مرزو فلوس الى الشاب وخذقه ، ثم اطلقت بالتالي رواية في كل مكان بأن وفاته كانت لأسباب طبيعية ، وأمر مرزوفلوس بدفنه باحتفال وأبهة كما يليق بامبراطور وأقام عرضا عظيما من الحداد على وفاته ولكن القتل لا يمكن اخفاؤه ، وسرعان ما علم كل من الروم والفرنسيين بأن مثل هذه الجريمة قد ارتكبت ، وبالطريقة التي ذكرتها ، وعقد بارونات الجيش ودوج البندقية مؤتمرا حضره أيضا الاساقفة والاكليروس .

واتفق كل الاكليروس ولاسيما النين كان ليهم تفويض خاص من البابا على أن يبينوا للبارونات والصلبيين الآخرين أن كل من حمل إثم مثل هذا القتل لاحق له في امتلاك الأراضي ، في حين أن النين وافقوا على مثل هذا الشيء كانوا شركاء في هذه الجريمة ، وفوق كل شيء إن الروم كشعب قد انسحب من كنيسة روما ، ونحن بناء على ذلك نخبركم ، هكذا قال رجال الاكليروس ، بأن هذه الحرب عابثة ومشروعة ، وإذا حاربتهم بالاستيلاء على هذه الأرض بالنية السلمية لوضعها تحت سلطة روما ، فإن كل من يموت منكم بعد الاعتراف سيفيد من الغفران الذي منحه البابا ، وقد ارتاح البارونات وكل الصليبيين الآخرين وتشجعوا كثيرا بهذا التأكيد .

واحتدمت الحرب بضراوة بين الفرنجة والروم واستمرت بلا هوادة وهي تزداد عنفا ، حتى أنه كان لايمضي يوم دون اشتباك سواء في البر أو البحر ، وعند احدي المراحل ركب اخو كونت فلاندرز هنري في عملية استطلاع ، واخذ معه قسما كبيرا من افضل الرجال في المعسكر وكان بينهم حاك دي أفنسس وبلدوين دي بوفوا ويودس دي شامبليت وأخيه غوليوم ، وآخرين من قسمهم نفسه من البلد ، وغادروا المعسكر حوالي الساعة السادسة من احدي الأمسيات ،

وركبوا طول الليل ، وفي وقت متأخر من صباح اليوم التالي ، وصلوا الى مدينة فيليا الجميلة ، التي استولوا عليها .

وغنموا هناك كثيرا من الاسلاب في صورة ماشية وملابس اضافة الى عدد كبير من الاسرى ، ووضعوا هؤلاء في قوارب وارسالوهم عبر المضيق الى المعسكر ، لان تلك المدينة كانت تقع على شواطئ بحر يوكسين ، وأمضوا يومين في فيليا ، يتمتعون بالوفير من طلب الغذاء ، لان المدينة كانت ويرة الامداد بالطعام ، وفي اليوم الثالث غادروها مع الماشية والغنائم الأخرى وبدأوا عائنين الى المعسكر ، وكان الامبراطور مرزو فلوس قد سمع تلك الاثناء انباء تحركاتهم ، وهكذا غادر القسطنطينية ليلا مع جيش كبير من القوات ، ونصبوا كمينا على الطريق الذي كان على رجالنا أن يسيروا فيه في رحلة عودتهم ، وراقبهم وركبهم يمر مع حيواناتهم وأسلاهم ، جماعة بعد أخرى حتى وصلت المؤخرة التي كانت تحت قيادة هنري دي فلاندرز ، وكانت مشكلة من شعبه ممن جاء الى مسرح الأحداث ، ثم اندفع مرزوفلوس من الكمين ليهاجمهم بينما كانوا يدخلون في غابة ، واستدار الفرنسيون لمواجهةهم ووقعت معركة شرسة ، وبمعونة الرب هزم مرزوفلوس وتمكن بصعوبة بالغة من النجاة من الأسر ، وفقد علمه الامبراطوري وأيقونة كان يحملها دائما أمامه ، وكانت أيقونة وضع فيها هوبالروم الآخرون ثقة كبيرة لأنها كانت تحمل صورة سيدتنا العذراء ، والى جانب هذا قتل نحو عشرين من فرسانه .

ومع أن مرزوفلوس عانى من الهزيمة استمرت الحرب بين قواته والفرنجة في الاندلاع بضرورة ، وفي هذا الوقت كان قد مضى قسم كبير من الشتاء ، وكان الوقت الآن قريبا من عيد تطهير مريم العذراء وكان الصوم الكبير وشيكا .

الفصل الثاني عشر

الحصار الثاني للأقسطنطينية

شباط نيسان ١٢٠٤

ولهذه اللحظة سأتحول من الجيش المخيم أمام الأقسطنطينية ،
لأتحدث عن الرجال الذين نهبوا الى موانئ أخرى ، واولئك الذين
كانوا في الاسطول الألمنكي الذي أمضى الشتاء في مرسيليا ، فقد
أبحر كل هؤلاء الى سورية حالما حل طقس أدفا ، وقد فاق عددهم
عدد الذين اشتبكوا في القتال مع الروم ، ودعني أقول واأسفاه إنهم
لم يأتوا للانضمام الى جيشنا ولو أنهم فقط فعلوا ذلك لكسبت قضية
المسيحية منافع دائمة ، ولكن بسبب أثامهم لم يسمح الرب بها ،
وأثبت مناخ سورية أنه مهلك لبعضهم وعاد آخرون الى بلادهم ، ولم
يفعل واحد منهم شيئا مفيدا أو ذا قيمة في الأرض التي نهبوا اليها .

وانطلقت مجموعة واحدة منهم وكلها من الرجال الجيدين جدا
الى أنطاكية ، للانضمام الى بوهمند أمير أنطاكية وكونت طرابلس
الذي كان في حرب مع الملك ليون ملك أرمينيا ، وقد أرادوا أن
يخدموا الأمير كجنود مرتزقة ، وما أن سمع أتراك تلك البلاد
بمجيئهم حتى نصبوا كميناً عند النقطة التي سيمرون بها ، وحالما
جاءوا اليها هاجمهم وكان نصيب الفرنسيين هو الأسوأ في هذا
القتال ، حتى أنه لم ينج منهم أحد ، وجميعهم إما قتل أو أسر .

وكان بين القتلى في تلك المواجهة فيلين دي ناللي ، وكان واحدا من
أفضل الفرسان في العالم ، واجليز دي ترا سيفني وعدد كبير آخر ،
وكان بين الأسرى والسجناء برنارد دي موريل ، وريزود دي
دامبير ، وجين دي فيليلير ، وغوليووم دي نياللي أحد النفوس الحية
والأكثر براءة ، وفي الحقيقة إنه من بين الثمانين فارسا الذين كونوا

هذه المجموعة لم ينج أحد كما قلت ، ويعطي هذا الكتاب في الواقع براهين وفيرة على أنه من بين أولئك الذين تـوانوا عن الانضمام للجيش في البندقية لم يكن هناك واحد لم يعان ضررا أو جلب ل نفسه العار ، وهذا هو السبب في أن المرء يمكن أن يقول إن الرجل حكيما عندما يختار اتباع المسار الافضل ويلتزم به .

وسأترك هذا الموضوع الآن وأعود الى القوات التي كانت أمام القسطنطينية ، لقد وضع هؤلاء كل ألتهم في وضع العمل ونصبوا عرادتهم ومنجنقاتهم وكل جهاز آخر ذا فائدة للاستيلاء على المدينة ، وكل سفنهم الحربية وسفن النقل ، ورفعوا سلالم تسلق الأسوار عالية على عوارض السفن ذات الأشعة مثلثة الشكل ، حتى لقد كان المنظر مثيرا للعجب .

أما الروم من جانبهم وقد رأوا هذه الاستعدادات الجارية ، فقد بدأوا في تقوية دفاعات المدينة التي كانت بالفعل جيدة التحصين خاف الأسوار العالية والأبراج ، ومع ذلك لم يكن هناك برج عال جدا لم يضيفوا اليه طابقين خشبيين أو ثلاثة اليه لتعليته أكثر ، وفي الواقع ما من مدينة حصنت قط بشكل جيد مثلها ، وبهذه الطريقة استنفد كل من الروم والفرنجة وقتهم وهم يعملون باستمرار أثناء القسم الأعظم من الصوم الكبير .

وعقد البارونات الآن مؤتمرا لمناقشة أي خطة عمل يمكن تبنيها ، وقدمت اقتراحات مختلفة عديدة ، ولكن في النهاية اتخذت القرارات التالية : اذا تمكنا بفضل الرب من شق طريقهم بالقوة الى داخل المدينة فانهم سيجمعون الغنائم في مكان واحد ، ويقسمونها بشكل صحيح وعادل بين القوات ، واذا أحرزوا بالاضافة الى ذلك سيطرة تامة على المدينة فانهم سيختارون ستة رجال من الجيش الفرنسي وستة من بين البنادقة ، وسيطلب من كل منهم أن يقسم على الانجيل المقدس بأنهم سينتخبون كامبراطور لهم الرجل الذي يعدونه أكثر صلاحا للحكم لأفضل مصالح الدولة ، وأيما كان من سينتخب

هكذا امبراطورا ستكون حصته ربع الفنائم سواء مع المدينة او بدونها ، وسيملك أيضا قصر بوكليون وبلاشرين ، أما الأرباع الثلاثة الباقية من الفنيمة فستقسم الى قسمين متساويين يخصص احدهما للبنادقة والثاني للفرنسيين ، وبعد ذلك سينتخبون اثني عشر من أحكم وأقدر الرجال في الجيش الفرنسي ، واثنى عشر بالقدر نفسه والمكانة والاهلية من البنادقة ، ليكونوا مسؤولين عن تخصيص الاقطاعات والمناصب ، وتحديد أي خدمات يجب أن تقدم للامبراطور من أجل هذه الامتيازات والتشريعات ، وقد تأكد هذا الاتفاق بالقسم من جانب الفرنسيين والبنادقة على السواء ، مع اشتراط أنه عند نهاية أذار من السنة التالية إن كل من يريد أن يترك يكون حرا في أن يذهب الى حيث يحب ، وسيصبح الذين يبقون تحت سلطة الامبراطور ليؤدوا له من الخدمات ما يتطلب ،

ولانهاء الميثاق اضيفت عبارة ختامية تنص على أن أي شخص يخفق في الالتزام بشروطه يقع تحت طائلة الحرمان من الكنيسة .

وكان الاسطول الآن حسن التجهيز والتسلح ، وتم تحميل كل المؤن التي قد يحتاج اليها الصليبيون ، وفي يوم الخميس الذي تلا أحد منتصف الصوم الكبير هدمت جميع القوات الى السفن الحربية ، ووضعت الخيول في سفن النقل ، وكان لكل فرقة سفنها الخاصة ، وقد هدمت الواحدة بجانب الأخرى ، وكانت السفن الحربية تتناوب مع الشواني وسفن النقل ، وأؤكد لكم لقد كان منظرا رائعا ؛

ان نرى الاسطول وقد وضع في تشكيل القتال في خط ممتد الى ما يزيد عن فرسخ فرنسي بكثير ، وفي صباح الجمعة اقتربت السفن الحربية والشواني والمراكب الأخرى من المدينة في النظام المصد وبدأت بشن هجوم ضار مصمم ، ونزل الصليبيون في أماكن عديدة الى البر وتقدموا رأسا نحو الأسوار وفي مواضع كثيرة أخرى أصبحت سلاالم التسلق التي كانت على السفن قريبة جدا من شرافات الأسوار ، حتى أن الذين كانوا على الأسوار والأبراج

تشابكت حراهم يدا بيد مع مهاجمتهم ، واستمر الهجوم سريعا وضاريا وقويا في أكثر من مائة مكان حتى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولكن بسبب نفوبنا صنت قواتنا في هذا الهجوم ، وتم ارغام أولئك الذين نزلوا من الشواني وسفن النقل على التراجع الى ظهور السفن ويجب أن أقر أنه في ذلك اليوم فقد جيشنا من الرجال أكثر مما فقد الروم ، وأن الآخرين كانوا مبتهجين جدا وانسحب بعض رجالنا من الهجوم وخرجوا بسفنه من المعركة وترك آخرون سفنه رأسية بمراسيها قريبا جدا من أسوار المدينة حتى أن كل جانب كان بإمكانه أن يقذف بالأحجار من عراداته ومنجنيقاته الطرف الآخر .

وذلك المساء في نحو الساعة السادسة اجتمع البارونات ودوج البندقية في مؤتمر في كنيسة في الطرف الأقي في الميناء ، قريب من حيث كانوا يعسكرون ، وتم تبادل الكثير من وجهات النظر المختلفة وفي ذلك الاجتماع كان الفرنسيون بشكل خاص مكثبين جدا بسبب التراجع الذي عانوا معه ذلك اليوم ، ونصح عدد كبير من الحاضرين بالقيام بهجوم على المدينة من جانب آخر ، من مكان تكون فيه الدفاعات أضعف ، وبين البنادقة الذين كانت لديهم خبرة أكثر بالبحر أنهم إنأ نهبوا الى ذلك الجانب فإن التيار سيجرهم في المضيق وسيعجزون عن ايقاف سفنه ، وكان هناك كما يجب أن أقول أناس معينون في الجماعة كان يمكن أن يكونوا مسرورين جدا فقط لو أن التيار جرفهم في المضيق ، أو أن الريح فعلت ذلك ، لأنهم لم يكونوا يبالون أين يذهبون ، طالما أنهم سيتركون تلك الأرض وراءهم ، ويمضون في سبيلهم ، ولم يكن هذا مثار للعجب لأننا كنا في خطر شديد في ذلك الوقت .

وبعد كثير من النقاش ، تم اتخاذ القرار بتمضية اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، كله في اصلاح الأضرار التي لحقت بالسفن والتجهيزات ، وتجديد الهجوم يوم الاثنين . وفي هذه المرة كانوا سيربطون السفن التي تحمل سلالم التسلق كل اثنتين معا ، حتى

إن كل زوج يمكنه أن يقوم بهجوم مشترك على برج واحد . وثم تبني هذه الخطة ، لأنهم في اشتباك ذلك اليوم لاحظوا أنه عندما تهاجم سفينة واحدة فقط كل برج ، كان عدد الرجال على البرج أكبر من عدد الرجال على السلم ، وهذا ما كان يجعل تلك المهمة أثقل من أن تتولاها سفينة وحدها ، وبناء على ذلك كان من المعقول الافتراض بأن سفينتين معا ستكونان أقدر على أحداث ضرر أكثر مما تحدثه واحدة ، وذهبت هذه الخطة لربط السفن في أزواج بينما كانت القوات تتأهب يومي السبت والأحد .

وفي هذه الأثناء جاء الامبراطور مرزوفلوس ليعسكر بكل قواته في العراق في مواجهة خطوطنا مباشرة ، ونصب خيامه القرمزية هناك ، وهكذا بقيت الأمور حتى صباح الاثنين ، حيث أعد كل الرجال على مختلف السفن أسلحتهم ومعداتهم ، وكان أهالي القسطنطينية الآن أقل خوفا بكثير من قواتنا منهم في وقت هجومنا الأول ، وكانوا في الواقع في مزاج ينطوي على الثقة حتى أنه على طول الأسوار والأبراج لم يكن يرى سوى الناس ، ثم بدأ الهجوم ، هجوم ضار عظيم ، بينما كانت كل سفينة توجه في مسار مستقيم نحو الامام ، وقد أوجدت الصيحات المنبعثة من المعركة ضجيجا بدا معه كما لو أن الأرض جميعها قد تقوضت الى قطع .

وقد استمر الهجوم زمانا طويلا حتى هيا الرب لنا ريحا تدعى البورياس دفعت بالسفن الى مسافة أبعد نحو الشاطئ واقتربت سفينتان من السفن المربوطة معا واحدة تدعى الحج والثانية الفردوس الى درجة كبيرة من أحد الأبراج واحدة ، من جانب والثانية من الجانب الآخر ، وبينما كان الرب والريح يدفعان بهما الى الامام اتصل سلم الحج بالبرج ، وعلى الفور شق أحد البنادق طريقه برفقة أحد الفرسان الفرنسيين ويدعى اندريه ديربواز نحو الداخل وبدأ الرجال الآخرون يتبعونهما ، وفي النهاية تمت هزيمة المدافعين واخراجهم وفي اللحظة التي رأى فيها الفرسان النين كانوا

على ظهر سفن الذقل هذا يحدث نزاولا ، ويرفع سلالهم على الجدار
صعدوا الى القمة واخذوا برجين آخرين ثم بدأت بقية القوات تقذف
من السفن الحربية والشواني وسفن الذقل بانديفاع كل بأسرع ما
يستطيع ، وحطموا نحو ثلاثة من الابواب وبخلوا المدينة ، ثم
اخرجت الخيول من سفن الذقل وركب الفرسان وساروا مباشرة
نحو المكان حيث كان معسكر الامبراطور مرزوفلوس ، وكان قد
صف كتائبه امام الخيام ، ولكنهم ما أن رأوا الرجال يحملون عليهم
على ظهور الخيل حتى تراجعوا في فوضى وهرب الامبراطور نفسه
عبر شوارع المدينة الى قصر بوكليون ، وتبع ذلك مشهد مذبة ونهب
وفي كل مجال كان الروم عاجزين ، واخذت خيولهم وامهارهم
وبغالهم وممتلكاتهم الأخرى كفنائهم ، وكان عدد القتلى والجرحى
عظيما حتى المرء ليعجز عن احصائهم ، وهرب قسم كبير من النبلاء
الروم باتجاه بوابة بلاشرين ولكن بحلول هذا الوقت كانت الساعة
بعد السادسة مساء وكان رجالنا قد أصبحوا منهكين من القتال
والذبح ، وبدأت القوات تتجمع في ساحة كبيرة بداخل
القسطنطينية ، ثم اقتناعا بأنه يلزمهم على الأقل شهر لأخضاع كل
المدينة بكل كنائسها الكبيرة وقصورها والناس بداخلها ، قرروا أن
يستقروا قرب الأسوار التي استولوا عليها من قبل .

وتم كل شيء حسب الخطة ، وعسكر القسم الرئيسي من الجيش
على مقربة من السفن خارج شرافات الأسوار ، وأقام الكونت
بلدوين دي فلاندرز في الخيام القرمزية التي تركها الامبراطور
مرزوفلوس منصوبة ، وتمركز أخوه هنري أمام قصر بلاشرين ، في
حين بقي المركيز دي مونتفرات ورجاله قرب الأجزاء الأكثر ازحاما
بالسكان في المدينة . وهكذا تمركز كامل الجيش داخل وحول
القسطنطينية التي أخذتها قواتنا يوم الاثنين قبل أحد سبعم
النخيل ، ويجب أن أضيف أن الكونت لويس دي بلوا كان يعاني كل
الشتاء من حمى الربع (الملاريا أو البرداء) ولم يكن معافي بدرجة
كافية ليتسلح كالباقين ، وكان هذا سوء حظ كبير للجيش ، حيث

أنه كان فارسا جيد جدا وباسلا ، وقد لزم الفراش في اهدى سفن النقل .

واستراحت قواتنا المجهدة بل المنهكة تماما في هدوء تلك الليلة ، ولكن الامبراطور مرزوفلوس لم يسترح ، وبدلا من ذلك جمع قواته وقال إنه سيهاجم الفرنجة ، ولكنه على أي حال لم يفعل ذلك كما أعلن ، ولكنه ركب على طول شوارع معنية أبعد ما يمكن من تلك التي كان جيشنا يحتلها حتى وصل الى باب يدعى الباب الذهبي حيث هرب عبره ، وهكذا غادر المدينة ، وتبعه في هروبه كل الروم الذين أمكنهم تدبير ذلك ، ولكن جيشنا لم يعلم شيئا مطلقا عن كل هذا .

وخلال تلك الليلة ، وقرب المكان الذي عسكر فيه المرکيز دي مونتفرات أشعل بعض الناس الجهوليين ، وقد خشوا من أن يداهم العدو النار في الابنية ، الواقعة بينهم وبين الروم .

وبدأت النار تمسك بالمدينة ، التي سرعان ما أصبحت تلتهب بضراوة وراحت تحترق كل تلك الليلة وطيلة اليوم التالي حتى المساء وكان هذا هو الحريق الثالث للقسطنطينية منذ أن وصل الفرنسيون والبنادقة الى الأرض ، وقد احترق من البيوت في تلك المدينة أكثر من عدد البيوت الموجودة في أي ثلاثة من أكبر المدن في مملكة فرنسا ومضت تلك الليلة وجاء اليوم التالي ، وكان يوم خميس وفي الصباح الباكر من هذا اليوم تسلحت كل القوات من فرسان ومشاة على السواء ومضى كل رجل للانضمام إلى فرقته ، وتركوا مراكزهم وهم يعتقدون بأنهم سيلاقون مقاومة أقوى من تلك التي واجهوها في اليوم السابق ، إذ أنهم لم يعلموا أن الامبراطور قد هرب خلال الليل ، ولكنهم لم يجدوا أحدا يقاومهم .

وركب المرکيز دي مونتفرات مباشرة على طول الشاطيء الى قصر بوكوليون ، وحالما وصل الى هناك سلم له المكان ، شريطة

الابقاء على حياة الناس الموجودين فيه ، وبين هؤلاء كانت أعداد كبيرة جدا من السيدات من أعلى المراتب الذين التجأوا هناك ، وبينهم الامبراطورة أغنيس أخت ملك فرنسا ، والامبراطورة ماري أخت ملك هنغاريا ، وعدد من السيدات النبيلات الأخريات ، وتعوزني الكلمات عندما أتى الى وصف الكنوز التي وجدت في ذلك القصر ، لأنه كان هناك مخزون من الأشياء الثمينة لا يمكن للمرء أن يحصيه ، وفي الطريقة نفسها التي سلم فيها قصر بوكليون للمركيز مونتفرات سلم قصر بلاشرين لهنري أخي الكونت دي فلاندرز ووفق الشروط نفسها ، وهناك أيضا وجد مخزون كبير من الكنوز لا يقل عما كان في قصر بوكوليون وقد وضع كل من المركيز دي مونتفرات وهنري دي فلاندرز حامييه في القصر الذي استسلم له ووضع حرسا على الكنوز .

وانتشرت بقية الجيش في انحاء المدينة وغنموا الكثير حقا من الاسلاب ، حتى أن احدا لم يتمكن من تقدير مقدارها أو قيمتها وشملت الذهب والفضة وأدوات المائدة والاحجار الثمينة والحريير والساتين ، وعباءات فراء السنجاب والفاقم والفراء الأبيض أو المنقط بالبياض وكل شيء منقش يمكن أن يوجد على هذه الأرض ، ويعلن جيوفري دي فيلهارين هنا أنه حسب علمه لم تجمع مطلقا غنائم بهذه الكثرة من أي مدينة منذ خلق العالم ، واتخذ كل واحد مركزا حيث يريد ولم يكن هناك أي نقص في المساكن الجميلة في تلك المدينة ، لذا نزلت قوات الصليبيين والبنادقة في مساكن مناسبة وابتهجوا جميعا واتجهوا بالشكر للرب لاشرف والنصر الذي منحه لهم ، حتى أن الذين كانوا فقراء باتوا يعيشون الآن في غنى وترف وهكذا احتفلوا بأحد السعف ويوم الفصح الذي تلاه بقلوب عامرة بالسرور للمنافع التي وهبها ربنا ومخلصنا لهم ، لأنهم يجب أن يحمده جيدا ، إذ أن جيشهم الذي كان لا يعد أكثر من عشرين الف رجل قد انتصر على اربعمائة الف أو أكثر ، وذلك في أعظم وأقوى وأكثر مدينة تحصينا في العالم .

الفصل الثالث عشر

انتخاب الامبراطور

نيسان - أيار - ١٢٠٤

أصدر الماركيز - وندفرات القائد الأعلى للجيش الآن نيابة عن البارونات ودوج البندقية أمرا عاما للقوات أن يجمعوا وأن يحضروا كل الغنائم كما تم الاتفاق المؤكد بالقسم وتحت طائلة الحرمان من الكنيسة ، وخصصت ثلاث كنائس لاستقبال الغنائم وعين بعض أبرز الموثوقين من الرجال بين الفرنسيين ، والبنادقة في كل منها للعمل كحراس وبدأ كل رجل في احضار الغنائم كما اخذها ، وأدى بعضهم هذا الواجب بضمير وآخرون بدافع الشهرة وهي مصدر الشر الذي لا يخيب أبدا واثبتوا أنهم أقل أمانة ، ومنذ البداية الأولى بدأ الذين كانوا ميالين لهذا الاثم في حجب بعض الأشياء وأصبحوا بالتالي أقل ارضاء للرب ، أه أيها الرب كم كانوا مخلصين في تصرفهم حتى الآن ، وحتى الآن في كل ما تعهدوا به أظهر الرب عنايته الكريمة لهم ، ورفعهم فوق كل الشعوب الأخرى ، ولكن كل من يفعلون الصواب عليهم أن يعانوا كثيرا بسبب سوء أعمال الخاطئين .

وفي هذه الحالة عندما تجمع مكاسب الجيش من مال وعين ، كان يحدث أن لا تسلم كل الكمية ، وكان هناك الكثير في الواقع ممن كانوا يقلون دون رادع من الحرمان الكنسي من قبل البابا ، وكان كل ما يجلب الى الكنيسة يوضع مع بعضه ، ويقسم الى أجزاء متساوية بين الفرنسيين والبنادقة حسب الاتفاق المدعم بالقسم ، وبعد أن تلقى الصليبيون نصيبهم سلموا أولا ٥٠٠ ر ٥٠٠ ماركاً فضياً للبنادقة ، ثم قسموا ١٠٠٠ ر أخرى بين شعبهم ، وخصصت

الاموال على النحو التالي : تلقى كل واحد من السرجنديين الخيالة ضعف ما أخذ السرجندي من الرجال ، ولكل فارس ضعف السرجندي الخيال ، ولم يعط أي رجل أيا كانت مرتبته أو أهليته الشخصية قدرا كبيرا ، الا بناء على ترتيب خاص - إن لم يكن قد سرقه .

وفي حالات السرقة كان الجزاء الصارم يقع على من ثبت ادانتهم وكان العييد من هؤلاء يشنق وشنق الكونت دي سانت - بول واحدا من فرسانه ودرعه معلق بعنقه بسبب حجبه غنائم معينة ، وكان هناك مع ذلك كثير من الرجال من كل المراتب ممن غلوا دون أن يكشف أمرهم ، ومع ذلك فإن القيمة الاجمالية للغنائم كانت عظيمة لانه بصرف النظر عما سرق وعما دفع للبنادقة ، كان ما بقي من أجل التوزيع قد بلغ نحو أربعمئة ألف ماركا فضيا إضافة الى عشرة آلاف حصان من مختلف السلالات وبهذه الطريقة وزعت غنائم القسطنطينية بين المنتصرين ، وبعد انجاز هذه المهمة دعي كل الجيش الى مؤتمر حيث أعلنت كل القوات التي لها رأي واحد أنه يجب انتخاب امبراطور ، كما تم الاتفاق عليه من قبل واستمرت المناقشات ربحا طويلا حتى ، أن أمر اختيار اثني عشر شخصا يكونون مسؤولين عن انتخاب امبراطور أجل الى يوم آخر ، وطبيعي حيث يتعلق الأمر بمثل هذا المنصب الرفيع فإنه لا يمكن أن يكون هناك قلة من الرجال الذين يطمحون اليه ، أو يطمعون في نيل هذا الشرف ومع ذلك فإن الخلاف الأعظم في الاجتماع كان حول مسألة عما اذا كان الكونت بلدوين دي فلاندرز أو الماركيز دي موندفاتر هو الذي سيختار لأن كل واحد كان يقول ينبغي اختيار واحد أو الآخر منهما ، وعندما رأى الرجال الكبار في الجيش كيف كان الناس منقسمين حول هذه النقطة ، بعضهم يؤيد الكونت وآخرون يؤيدون الماركيز ، اجتمعوا معا وقالوا : « اذا انتخبنا واحدا من هذين الرجلين العظيمين فإن الآخر سيرك الجيش ويأخذ جماعته معه » ، وعندما سنفقد هذه الأرض ، تماما كما فقدت القدس منذ وقت قريب ، بعد الاستيلاء عليها وانتخاب غودفري دي بوليون ملكا ،

ففي هذا الوقت امتلا الكونت سنجيل بالحدق والحسد حتى أنه عرض البارونات الآخرين وكل من استطاع تحريضه ، على الانسحاب من الجيش ، وتحرك كثير من الناس وبقي القليل جدا ، حتى أنه لو لم يأخذهم الرب تحت حمايته لضاعت أرض القدس ، وعليه يجب أن نحتاط في أن نرى مثل هذا الحظ السيء لن يصيبنا .

والأخرى بنا أن نجد طريقة لكي نبقي كلا من هذين الاميرين في الجيش ، لهذا دعوا أيا منهما ينتخب بمشيئة الرب امبراطورا يفعل كل ما في استطاعته ليكون الآخر راضيا ، ولندعه على سبيل المثال يكسب ولاء الآخر بمنحه كل الاراضي عبر المضيق في اتجاه تركيا ، وأيضا جزيرة اليونان على هذا الجانب ، وبمثل هذه الوسيلة سنبقيهما معا ، وقبول هذا الاقتراح بالتأكيد من الجميع وأعطى كلا من الرجلين المعنيين موافقته الطوعية عليه .

وحل اليوم المعين للمؤتمر النهائي ، وحضر الكل واختير اثني عشر ناخبا ، ستة منهم فرنسيون والستة الآخرون من البنادقة ، وأقسم هؤلاء جميعا على الكتاب المقدس أن ينتخبوا بضمير وإخلاص الرجل الذي سيخدم بشكل أفضل مصالح الدولة ويحكم الامبراطورية بأكبر جدارة .

وبعد اختيار المنتخبين حدد يوم لانتخاب الامبراطور وفي هذا اليوم اجتمع الاثنا عشر رجلا في قصر جميل جدا ، واحد من أجمل قصور العالم ، حيث كان دوج البندقية ينزل فيه في حينه ، وتجمع حشد مدهش من الناس هناك ، لأن كل انسان كان يريد أن يرى من الذي سينتخب ، واستدعي الناخبون الاثني عشرة وأدخلوا في كنيسة فاخرة التأسيس جدا بداخل القصر ، وأقفل الباب حتى يذهبوا وحدهم ، وفي هذه الاثناء كان البارونات والفرسان ينتظرون في قصر عظيم على مسافة صغيرة من الكنيسة ، واستمر المجلس حتى اتفق جميع الناخبين ، ثم بموافقة مشتركة عينوا واحدا من بينهم هو نيفلون أسقف سواسون ليعمل كناطق ، وخرجوا جميعا من الكنيسة

ونهبوا الى حيث كان يجتمع البارونات ودوج البندقية ، وتحول من
العيون بقدر ما تتخيل نحو الاثني عشر ، لأن كل واحد كان متلهفا
لسماع نتيجة الانتخاب ، وبلغ الأسقف رسالته فقال : « سادتي
بفضل الرب اتفقنا على اختيار امبراطور ، وقد أستمتم جميعا
على أن الرجل الذي سننتخبه سيقبل من قبلكم وأنكم ستقفون الى
جانبه ضد كل من يجرؤ على تحدي انتخابه ، ونحن نسميه الآن في
الساعة فلاندرز وليها رينا ، إنه الكونت بلدوين دي فلاندرز
ودي هينوت .

وتريدت هتافات البهجة في القصر ، واصطهب الكونت الى خارج
المبنى وهمل الى الكنيسة ، وكان المركيز دي مونتفرات من جانبه
اول ، من بايعه وقدم له كل التقدير والتشريف الذي أمكنه ، وهكذا
انتخب الكونت بلدوين دي فلاندرز ودي هينوت امبراطورا وهدد يوم
تتويجه بعد ثلاثة أسابيع من عيد الفصح ، وصنع رداء فاخر جدا
يمكن أن أقول خصيصا لهذه المناسبة ، ولم يكن هناك نقص في
الاموال من أجل الانفاق على صنعه .

وقبل اليوم المحدد للتويج تزوج المركيز بـونيفيس دي مونتفرات
السيدة التي كانت زوجة للامبراطور اسحق ، وكانت أخت ملك
هنفاريا . وفي نحو ذلك الوقت سقط يودس دي شامبلت وهو أحد
أنجل البارونات في الجيش مريضا وتوفي ، وأعلن أخوه وليم
وأهدقاؤه الحداد عليه وبكوه بشدة ومرارة ، ودفن بتشريف كبير في
كنيسة الرسل المقدسين .

وجاء يوم التويج وتوج الامبراطور بلدوين ببهجة كبيرة ومهابة
عظيمة في كنيسة سانت صوفيا في العام ١٢٠٤ لتجسيد رينا ، ولا
حاجة بي للحديث عن الابتهاج والولائم التي جرت مع هذا الحدث
سوى القول بأن البارونات والفرسان قد فعلوا كل ما بوسعهم
لتمجيد تلك المناسبة ، وأعطى المركيز بـونيفيس دي مونتفرات
والكونت لويس دي بلوا ودي كارتران البيعة للامبراطور الجديد

كامير لهم بعد تتويجه البهيج ، واصطحب الامبراطور في ابهة عظيمة وفي موكب كبير الى قصر بوكولينون الاميري ، وهو بناء أكثر فخامة من أي بناء سلفت رؤيته على الاطلاق ، وهنا حالما انتهت الولايم جلس ليشرح على الاعمال .

وزار المريكز دي مونترفرات الآن الامبراطور ليطالبه بالوفاء بالعهد الذي قطعه وأن يعطيه كما التزم بأن يفعل ملكية الارض الواقعة عبر المضيق في اتجاه تركيا وجزيرة اليونان ، واعترف الامبراطور بالتزامه وقال بأنه سيوفي به بكل سرور ، وأما المريكز وقد راه مستعداً وراضياً بالمحافظة على كلامه ، فقد سأله عما اذا كان في مقابل تلك الاراضي يمكن أن يعطيه مملكة سالونيك لأنها تقع على مقربة من أراضي ملك هنغاريا الذي تزوج أخته .

وبعد كثير من المناقشات الجادة ، وبين لعل وعسى ، منح الامبراطور في النهاية أرض سالونيك للمريكز الذي بايعه بناء على ذلك ومقابلها كامير عليه ، وعند ذلك جرى احتفال عظيم في الجيش لان المريكز كان أحد أعلى الفرسان قدرا في العالم ، وكان واحدا ممن أحبه رفاقه الفرسان جدا ، لأن احدا لم يكن سخى اليد وكريما أكثر منه ، وهكذا جرى اقناع المريكز على أن يبقى في الامبراطورية .

الفصل الرابع عشر

حالة علاقات متوترة

أيار - أيلول ١٢٠٤

ولم يكن الامبراطور مرزوفلوس قد مضى بعد الى ابعد من مسيرة اربعة ايام من القسطنطينية . واخذ معه زوجته وابنة الكسيوس اخي الامبراطور اسحق وكانتا قد هربتا من المدينة قبل ذلك بزمان طويل ، وكان الآن يعيش في موزينوبولس مع النين هربوا معه ، ومايزال يحتفظ بقسم كبير من الأرض .

وفي هذا الوقت ترك نبلاء معينين من الروم من أعلى مرتبة القسطنطينية وعبر عدد كبير منهم المضيق الى ذلك الجزء من الامبراطورية الواقع على حدود تركيا . واستولى كل منهم على الأرض بقدر مايجب لاستخدامها لمصلحته الخاصة . وكان الشيء نفسه يحدث في أجزاء مختلفة أخرى من الامبراطورية .

ولم ينتظر الامبراطور مرزوفلوس طويلا قبل أخذ مدينة تكلرو التي سلمت من قبل للامبراطور بلديين وقد أخذها في هجوم مباغت عاصف ونهبها واستولى على كل شيء وجده هناك ، وعندما وصلت اخبار ذلك إلى الامبراطور بلديين استشار البارونات ودوج البندقية فاتفقوا بالاجماع على نصحه بالسير خارج القسطنطينية بكل القوات التي لديه ، ليخضع الأرض تاركا فقط حامية كافية في المدينة لتأمين سلامتها حيث أنها كانت مأخوذة حديثا وكانت كثيفة السكان من الروم .

وتم تبني هذه الخطة ، وبعد تجمع القوات أعطيت الأوامر للنين كان عليهم حراسة القسطنطينية بالبقاء ، وكان بين النين

تخلّفوا الكونت لويس دي بلوا الذي لم يكن حتى ذلك الحين قد أبلى من مرضه والدوح المسن للبندقية، وترك راهب دي بيثوم ليتولى شؤون قصرى بلاشرين وبوكليون ولحراسة المدينة مع جيوفري دي فيلهارين وميلون دي برابانت ومانا سيير دي ايل وكل رجالهم ، واستعد الباقون للذهاب في جيش الامبراطور .

وقبل أن يشرع الامبراطور بلدوين بمغادرة القسطنطينية أعطى اخاه هنري أوامر بأن يمضي قدما مع مائة من أجود الفرسان ، فركب مع جماعته من مدينة الى مدينة وفي كل مكان جاءه ، أقسم السكان بالولاء للامبراطور ، ومضى حتى وصل الى أدرنة وهي مدينة جميلة جدا وغنية حيث قدم الناس له ترحيبا قلبيا جدا ، وبدورهم اعترفوا بالامبراطور أميرا عليهم ، وبقي في المدينة حتى وصل الامبراطور بلدوين ، وبسماع أن الجيش كان يتقدم لم يجروا الامبراطور مرزوفلوس على انتظار وصوله بل عمل على أن يبقى دائما على مسيرة يومين أو ثلاثة أمامه ، واستمر على هذه الطريقة حتى أصبح قريبا من موزنيوبولس حيث كان الامبراطور الكسيوس يقيم ، ثم أرسل الرسل أمامه ليخبروا الكسيوس بأنه سيساعده وبأنه سيفعل كل مايلببه ، وأجاب الكسيوس بأنه سيرحب بمرزوفلوس كما لو كان ابنا له وأنه سيزوجه ابنته ليصبح ابنا له حقا ، وعليه فقد عسكر مرزوفلوس خارج موزنيوبولس بكل خيامه وسراقاته ، في حين بقي الكسيوس في المدينة ثم تقابلا واجتمعا معا وبعد هذا زوج الكسيوس ابنته لمرزوفلوس ، وبخلاف تحالف مع بعضهما معلنين انهما سيكونان كواحد .

وبقي الامبراطوران حيث كانا وقتا غير محدود ، واحدا في معسكره والثاني في المدينة حتى دعا الكسيوس في أحد الايام مرزوفلوس ليأتي للعشاء معه ، ثم يذهب معه بعد ذلك الى الحمامات ، وقبلت الدعوة ووصل مرزوفلوس دون موكب ومع قليل جدا من الحاشية كما طلب منه ، وحالا وصل الى المنزل سحبه الكسيوس الى غرفة خاصة حيث طرح أرضا وأمر بعينية فسملتا من

رأسه ، وأحكموا بأنفسكم بعد سماع هذه الخيانة انا ماكان الناس الذين يمكنهم أن يعاملوا بعضهم بمثل هذه القسوة الوحشية يكونون صالحين لامتلاك الاراضي أو فدقما ؟ وعندما سمعت القوات التابعة للامبراطور مرزوبولس تفرق معظمهم في كل اتجاه:بعضهم الى هنا وبعضهم الى هناك ، ومضى بعضهم على اي حال الى الامبراطور الكسيوس وبقوا معه واطاعوه كأمير عليهم .

وفي هذه الاثناء كان الامبراطور بلدوين قد ترك الاسطنطينية مع جيشه وركب حتى بلغ أدنة حيث التقى بأخيه هنري ورفاقه من الفرسان ، وخرج كل الناس من الأماكن التي مربها للقائه ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه والاعتراف بسلطانه ، وبينما كانت القوات في أدنة سمعوا كيف أن الامبراطور الكسيوس قد سمل عيني الامبراطور الآخر ، وجرى حديث كثير حول الحادثة ، وأعلن الجميع بصراحة بأن كل من يخونون بعضهم بعضا هذه الخيانة لاحق لهم في امتلاك الاراضي ، واعتزم الامبراطور بلدوين أن يركب رأسا الى موزينوبولس حيث كان الامبراطور الكسيوس يعيش ، ورجاه الروم في أدنة كأمير لهم أن يترك حامية في مدينتهم لان جوهانيتزا ملك الاشيا وبلغاريا قد اخضعهم لهجمات متكررة ، وترك الامبراطور معهم يوستاس دي سوبرويك ، وهو فارس فلمنكي شجاع جدا وجدير ، مع أربعين من أجود الفرسان ومائة من السرجنية الخيالة ، ثم ترك الامبراطور المدينة ، وركب نحو موزينوبولس حيث توقعنا أن يجدا الامبراطور الكسيوس ، وجاءه كل الناس من المناطق التي عبرها للاعتراف بسلطانه وليضعوا أنفسهم تحت حكمه ، ويسمع ذلك سحب الامبراطور الكسيوس كل قواته من موزينوبولس وهرب ، وركب الامبراطور بلدوين وسار حتى وصل الى المدينة وخرج أهل هذا المكان للاقائه وسلموه له كأمير لهم ، وأعلن الامبراطور بلدوين الآن عزمه على البقاء في موزينوبولس في انتظار المركز مونتفرات ، الذي لم يكن قد وصل بعد الى المعسكر ، وكان هذا بسبب أنه كان يحضر زوجته معه ، ولم يكن بناء عليه قادرا على السفر بالمعدل نفسه

للإمبراطور ، ومع ذلك فقد ركب هو وجماعته بصورة مستمرة حتى بلغوا موزينوبولس ، التي تقع على نهر ، ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم بجانب الجدول ، وفي اليوم التالي ذهب المركز لرؤية الإمبراطور ، والتحدث معه وتذكيره بوعده قائلا : « يا صاحب الجلالة أن لدي أبناء من سالونيك تخبرني أن أهل مملكتي مستعدون وراغبون في استقبالي كأمر لهم ، وكتابع لكم وأنا إذا تسلّم هذه الأرض منكم أرجوكم الآن لي بالذهب الي هناك ، وحالما أضع يدي على أرضي فأني سأعود لكم بكل المؤن التي تحتاجونها ، وأجيء وأنا مستعد للقيام بكل ما ترغبون ، ولكن لا تنهوا وتخربوا مملكتي لي بل إذا ما كان الأمر التالي يلقي موافقتكم ، فسيروا معي ضد جوهانيتزا ملك والاشيا وبلغاريا والذي وضع يده ظلما على جزء من أراضي .

ولأدري بناء على نصيحة من عمل الإمبراطور عندما أجاب بأنه كان مصمما على الرغم من كل شيء على أن يسير الى سالونيك ثم يقف بعد ذلك على شؤونه الأخرى ، فقال المركز : « يا صاحب الجلالة اني أرجوكم بحرارة طالما اني قادر على وضع يدي على أرض دون مساعدتكم أن لا تتخلوها ، فإن فعلتكم لن أشعر بأنكم تعملون لخيري ، وسأخبركم بوضوح اني لن أنهب منكم ، بل سأدفعل عنكم وعن جيشكم .»

والأسفاه أي نصيحة سيئة لكليهما ، وكم كان الخطأ شديدا من جانب الذين سببوا هذا الانشقاق بينهما ! ولأنه لولا رحمة الرب بكليهما ، لوقدنا كل الأراضي التي غنماها ، ولتعرضت النصرانية دؤسها للخطر ، وهكذا بسبب فرصة غير معظوفة ومشورة غير حكيمة دفع الإمبراطور والمركز الى ذلك صحتبهما والافتراق .

وركب الإمبراطور بلدوين وهو سالونيك كما خطط مع كل حاشيته وقواته ، في حين عاد المركز دي مونتفوات في اتجاه آخر ، لهذا معه عددا كبيرا من الرجال الطيبين ، وكان بين الذين مضوا

معه جاك دي أفنس ووليم دي شامبلت ، وهو —وغ دي كوليني ، وغراف برتولد فون كاتزينلبوغن ، مع القسم الأعظم من الرجال من امبراطورية المانيا ، وكانوا جميعا في جانب المركيز ، وركب المركيز حتى بلغ حصن ليموتيكما وهو بناء جميل جدا وأسر ومحصن بقوة ، وبعد ان سلم احد الروم في المدينة المهاجمة الحصن له بخله ووضع حامية هناك ثم لأن زوجته الامبراطورة السالفة كانت معروفة لهم ، بدأ الروم يققون في صفه ويجيدون من كل الريف المحيط على مسيرة يوم أو يومين من ليموتيكما ليعترفوا به كأمير لهم .

وفي هذه الأثناء بينما كان الامبراطور بلدوين ماضيا نحو سالونيك وصل الى حصن كريستوبولس ، وهو واحد من أقوى القلاع في العالم ، وقد تسلم هذا الحصن وأقسم كل أهالي المدن المتاخمة قسم الولاء له وفيما بعد وصل الى مكان آخر يدعى لابلانز وهي مدينة مزدهرة جيدة التحصين وسلمت هذه أيضا وبأيعه الناس ، ومن هناك ركب الى سيرس وهي مدينة على الدرجة نفسها من الازدهار وجيدة التحصين ، وهنا أيضا اعترف الناس بسلطته وأقسموا على طاعته كأمير لهم ، ووصل في النهاية الى مدينة سالونيك وبقي ثلاثة ايام معسكرا خارجها ، وسلم أهل المدينة التي كانت في ذلك الوقت واحدة من أجمل وأغنى المدن في كل النهرانية المكان له شريطة أن يحكمهم وفق العادات والأعراف المرعية من قبل كل أباطرة الروم .

حتى ذلك اليوم . وبينما كان الامبراطور بلدوين في جوار سالونيك والناس من كل الناحية يضعون انفسهم في خدمته ويقبلون به كأمير عليهم ، كان المركيز دي مونتفرات مع كل رجاله وعدد كبير من الروم الذين ناهروه يسير الى أدنة حيث نصب خيامه وسراذقاته حول المدينة وبدأ في إحكام الحصار حولها ، وبدأ يوستاس دي سوبرويك الذي كان بداخلها مع الرجال الذين تركهم الامبراطور هناك على الفور في توزيع الرجال على الأسوار والأبراج واستعد للدفاع عن المدينة .

وبعد ذلك استدعى رسولين وأرسلهما الى القسطنطينية وهما يركبان ليل نهار، لقد ذهباً لرؤية دوج البندقية والكونت لويس والبارونات الآخرين الذين أمرهم الامبراطور بالبقاء في المدينة ، فأخبرا هؤلاء الأمراء أن يوستاس دي سوبرويك أراد أن يعلمهم بأن الامبراطور والمركيز قد تحاربا ، وأن المركيز قد استولى على ييموتيكا التي كانت واحدة من أجمل وأقوى حصون الامبراطورية ، وأنه قد بدأ الآن في محاصرة رجال الامبراطور في أدرنة ، وعندما سمع أولئك الذين في القسطنطينية هذا اضطربوا لدرجة معتدلين بشكل مؤكد بأن كل ماكسيبوه سيضيع .

وبناء عليه اجتمع دوج البندقية والكونت لويس وبقية البارونات في القسطنطينية في قصر بلاشرين وهم في غاية القلق والاهتياج من الأخبار التي تلقوها ، ونددوا بأشد المرارة بالذين أثاروا المشاعر السيئة بين الامبراطور والمركيز ، وبناء على طلب دوج البندقية والكونت لويس ، نوشد جيوفري دي فيلهارين مارشال شامبين الذي كان على علاقات ودية مع المركيز ، وسيكون له كما اعتقدوا التأثير الأكبر عليه من أي شخص آخر ، أن يمضي الى الحصار المضروب حول أدرنة وينهي اذا امكن هذا النزاع ، ومن جانبه قد تأثر بتوسلاتهم وادراكهم للحاجة الملحة الى تسوية للنزاع ، أجاب بأنه كان راغبا جدا في الذهاب ، وأخذ معه ماناسيير دي ليل الذي كان واحدا من أفضل فرسان الجيش وأكثرهم رفعة في المقام .

وانطلقوا من القسطنطينية حيث ركبوا عدة أيام حتى بلغوا المدينة المحاصرة ، وحالما سمع المركيز بأنهم يقتربون خرج من المعسكر ومضى للقائهم مصحوبا بمستشاريه الرئيسيين . جاك دي افسنس وغوليووم دي شامبلت ، وهوغ دي كولني وأوثون دي لأروش وعند رؤية المبعوثين حياهم المركيز بلطف شديد ودماثة .

وتحدث المارشال جيوفري كصديق مقرب ذي حظوه مؤنبا المركيز بصراحة كبيرة على الطريقة التي اهتل بها أراضي الامبراطور ،

وعلى محاصرة شعبه في أدرنة ، وذلك دون شرح الحالة لأصدقائه في القسطنطينية الذين كانوا سيساعدونه بالتأكد في الحصول على التعميم إذا كان الامبراطور قد الحق به أي غبن ، وفعل المركيز على أي حال كل ما في وسعه ليبريء نفسه ، وعلى أنه عمل فقط بهذه الطريقة بسبب الخطأ الذي الحقه الامبراطور به ومع ذلك عمل المارشال جاهدا لاقتاعه أنه يعون المرب وبمساعدة أولئك البارونات الذين كانوا موضع ثقة أميرهم وأخلصوا له ، فتلقي التأكيدات بأن المركيز سيضع القضية بين يدي دوج البندقية ، والكونت لويس وراهب دي بيثون والمارشال نفسه ، ونتيجة لذلك عقدت هدنة بين الجيش في المعسكر والرجال في المدينة .

وعند رحيلهم وجه شكر حار لجيوفري دي فيلهارين وماذسيير دي ليل من قبل كل من رجال المعسكر ، والذين كانوا يحاصرونهم لأن كلتا الجماعتين كانتا متهافتين في رغبتهما في السلام ، ولكن إذا كان الفرنسيون مبهجين فإن الروم كانوا بالقدر نفسه محزونين وخائبي الأمل لأنهم كانوا سيبتجون كثيرا عندما يرون قواتنا في خلاف ويحارب بعضهم بعضا . وهكذا رفع الحصار عن أدرنة وعاد المركيز بكل رجاله الى حصن ييموتيكيا حيث ترك زوجته .

وعاد المبعوثون الى القسطنطينية ليروا ما فعلوا وكان دوج البندقية . والكونت لويس والآخرين كلهم مبهجين بسماع أن المركيز قد وكلهم بالتفاوض على السلام ، وهكذا كتبوا رسالة وأرسلوها بواسطة رسول يمكن الاعتماد عليه الى الامبراطور بلدين ليعلموه بأن المركيز قد أحال المسألة موضوع الخلاف اليهم ، مع التأكيد بأنه سيلتزم بقرارهم ، وأضافوا أنه في رأيهم أن الامبراطور كان حتى أكثر ارتباطا بالالتزام بفعل الشيء نفسه وحيث أنهم من جانبهم لن يقرروا بحرب من هذا النوع تحت أي ذريعة أيا كانت فقد رجوه أن يفعل كما طلبوا ، وأن يعد بقبول تحكيمهم كما فعل المركيز .

وبينما كان هذا كله يجري كان الامبراطور بلدوين يسوي الأمور كما يجب في سالونيك ، وغادر المدينة بعد أن وضع حاميته هناك تحت أمره رينيه دي مونز وهو فارس جيد جدا وشجاع ، وبلغته الأخبار بأن الماركيز قد أخذ ديموتيك ، وإضافة الى توطيد مركزه هناك غزا قسما عظيما من الأراضي المحيطة بها ، وكان يحاصر شعب الامبراطور نفسه في ادرنة وبسماح ذلك .

استشاط الامبراطور غضبا وصمم على الفور ان يذهب لاغاثة ادرنة وفك الحصار عنها ، وان يلحق بالماركيز كل مايمكن من اذى ، أه اي ضرر كان يمكن ان ينجم عن هذا الخلاف، ولو لم يتدخل الرب لتصحيح الأمور لكان هذا يعني خراب النصرانية .

وانطلق الامبراطور بلدوين قاصدا ادرنة وهو يركب يوما بعد يوم ، وفي حين كان الجيش معسكرا امام سالونيك ، ومع امر بالغ التعاسة وقد تفشى المرض المفاجيء في الصفوف واضطر العديدون التزام الفراش ، وخلال الرحلة بلغ المرض بعدد كبير الى حد لم يسمح لهم بالتقدم ، فتركوا في الحصون على طول طريق الامبراطور ، وحمل اخرون وهم في شدة الالم والتعب في محفات ، وتوفي عدد كبير في سيريس وبينهم مستشار الامبراطور جين دي نويون وكان كاهنا عالما وقديسا وكان وعظه البليغ بكلمة الرب يريح ويعزز قواتنا وكان كبار رجال الجيش في غايه الاسى لموته ...

ولم يمض وقت طويل قبل ان يعاني الجيش من تعاسة اكبر وفوق كل شيء بوفاة بيير دي أمين وهو نبيل عظيم وقوي وفارس جيد باسل ، وحزن عليه الكونت هوغ دي سانت بول بشدة وكان ابن عم له وكان كل رجل في الجيش صادق الاسى عندما توفي ، وبعد ذلك بوقت قصير جاء موت جيراردي مانسيكو ، وكان هذا حزنا عظيما اخر للقوات اذ انه كان فارسا يحبه الجميع ويقدرونه ، ومات ايضا جيل دي انسو وعدد كبير من الرجال الجيدين خلال تلك الرحلة وفقدنا في الواقع نحو اربعين فارسا في المجموع ، وضعف الجيش

بدرجة كبيرة لموتهم ، وكان الامبراطور بلدوين الذي كان يقطع عدة مراحل يومية قد غطى حتى الان مسافة لقي عندها الرسل الذين بعثوا اليه من القسطنطينية وهم قادمون للاقائه ، وكان احداهم فارسا يدعى بيغ دي فرانسور جاء من الاراضي التابعة للكونت لويس دي بلوا ، وكان تابعا له ، وكان رجلا ثاقب الفكر نلق اللسان ، فسلم الرسالة الواردة من سيده والبارونات الاخرين بحيوية كبيرة وشجاعة قائلا :

« يا صاحب الجلالة ان بوج البندقية وسيدي الكونت لويس والبارونات الاخرون الموجودون الان في القسطنطينية يرسلون اليكم بتحياتهم كأمر لهم ، وهم يرغبون ان يشكوا الى الرب واليكم اولئك المسؤولين عن اثاره النزاع بينكم وبين المركيز الذي كاد ان يجلب الخراب للنصرانية ، وقد طلبوا مني ايضا أن أقول انكم تصرفتم بون حكمه جدا باستماعكم لمثل تلك النصيحة ، وهم يريدون منكم الان ان تعرفوا ان : المركيز قد أحال هذا النزاع بينكم وبينه إليهم ، وهم يرجونكم كأمر لهم ان تفعلوا الشيء نفسه بدوركم وان تعدوا بالالتزام بحكمهم ، وهم يريدون منكم ان تفهموا انهم لن يوافقوا مطلقا على مضيكما الى الحرب ضد بعضكما بعضا على اي اساس كان ،» وقال الامبراطور : إنه سيعطي جوابه للمبعوثين قريبا ومضى ليدعو مجلسه الاستشاري وبين هذه الجماعة كان هناك عديون ممن ساعدوا على اثاره النزاع ، وقال الذين اعتبروا الان الرسالة من القسطنطينية قطعه مذهلة من الوقاحة : « يا صاحب الجلالة سمعت ما اعلنه هؤلاء الناس : من انهم في الواقع لن يسمحوا لكم بمعاقبة عدو اخطأ معك ، ويبدو انكم اذا رفضتم ان تفعلوا كما قالوا لكم سينقلبون ضدكم» ، وجرى التعبير عن كثير من الآراء المتفطرة في مجرى المؤتمر ولكن في النهاية وحيث ان الامبراطور لم يكن يرغب في فقد صداقة بوج البندقية والكونت لويس والناس المهمين الاخرين في القسطنطينية ، وافق المجلس على اعطاء الجواب التالي للمبعوثين : « اني لا اضمن احالة النزاع الى اولئك الذين ارسلوكم ،

ولكنى سأذهب الى القسطنطينية بدون ان افعل شيئا للاضرار
بالمركيز .»

وهكذا ذهب الامبراطور الى القسطنطينية وخرج البارونات وكل
الناس الاخرين للقاءه ورجعوا به بتشريف كبير كأمر لهم .

وخلال اربعة ايام من وصوله توصل الامبراطور لان يفهم
بوضوح بانه قد اسيء نصحه للمنازعة مع المركيز ، وعند هذه النقطة
جاء دوج البندقية والكونت لويس لرؤيته حيث قال : يا صاحب
الجلالة اننا نرجوكم ان تحيلوا هذا الامر الينا كما فعل المركيز ،
واجاب الامبراطور بانه سيكون مسرورا جدا ان يفعل هذا ، واختير
المبعوثين عندئذ لاهضار المركيز الى القسطنطينية ، وكان احد
هؤلاء المبعوثون هو جيرييه دي شاتل ، والثاني رنيير دي تري ،
والثالث جيوفري دي فيلها رين وارسل دوج البندقية اثنين من
شعبه معهم ، وركب المبعوثون يوما بعد يوم حتى وصلوا اخيرا الى
ديموتيكيا وهناك وجنوا المركيز مع زوجته وعدد كبير من الناس نوي
المنزلة الطيبة ، وبعد ان اخبروه انهم قد جاءوا للسودة به رجاء
جيوفري دي فيلها رين ان يحضر الى القسطنطينية كما وعد ، وان
يسوى نزاعة مع الامبراطور بالطريقة التي يقررها الذين احيل إليهم
هذا النزاع ، وان المبعوثين يضمنون له مواكبته ووصولا آمنه له ،
وكذلك ايضا لكل من قد يذهب معه .

وسأل المركيز بماذا يشيرون ووافق بعضهم على ان يذهب ،
ونصحه بعضهم بعدم الذهاب ، ومع ذلك وبعد بعض النقاش ذهب
الى القسطنطينية مع المبعوثين مصحوبا بنحو مائة من فرسانه ،
وركبوا عدة ايام حتى بلغوا المدينة حيث تم الترحيب بهم بحرارة ،
وخرج الكونت لويس دي بلوا ودوج البندقية للقاء المركيز ومعهما
عدد كبير من الناس الاخرين من المراتب الراقية في الجيش ، والذين
كانوا جميعا من اصدقائه المخلصين .

وبعد ذلك عقد مؤتمر نوقشت فيه الاتفاقية المبرمة من قبل الامبراطور والمركيز . وكنتيجة اعيت مدينة ومملكة سالونيك للمركيز شريطة ان يعيد بيموتيكما . التي استولى عليها ، الى جيوفري دي فيلها ردين الذي وعد ان يحتفظ بها حتى يسمع سواء من رسول معتمد او برسائل مسجلة ، بان المركيز قد وضع بالفعل يده على مملكته ، وعندها يعيد المارشال بيموتيكما الى الامبراطور ويضعها تحت سلطته ، وهكذا تحقق السلام بين الامبراطور والمركيز ، وكان هناك ابتهاج عظيم في كل الجيش بهذه التسوية السعيدة ، لان ضررا عظيما ربما كان سينتج عن هذا النزاع .

واستأنن المركيز من اصدقائه وركب بصحبة مبعوثي الامبراطور نحو سالونيك مع زوجته وشعبه . ومع مرورهم من حصن الى حصن كان كل بدوره وبكل مقاطعاته يسلم للمركيز باسم الامبراطور .

وعندما وصل الى مدينة سالونيك سلم له كل الذين كانوا يسيطرون على المكان لصالح الامبراطور بالطريقة نفسها ، وكان حاكم المكان واسمه رينير دي مونزا قد توفي حديثا ، وكان رجلا طيبا جدا وكانت وفاته خسارة حزينة .

وبالتدرج بدأ الرجال في كل المملكة خطوة خطوة بوضع اراضيهم وانفسهم تحت سلطة المركيز ، حتى اعترف عدد كبير جدا من الناس في النهاية به كامير عليهم . وكان الاستثناء الوحيد رومي معين من المرتبة الراقية جدا ، وكان اسمه ليون سفور وكان هذا الرجل وقد كسب ملكية كورنث ونوبليا وهما مدينتان على الساحل وكانتا من بين الاقوى تحت السماء ، قد رفض ان يقسم قسم الولاء للمركيز ، وعلى العكس بدأ في شن الحرب ضده ، ووقف عدد كبير جدا من الروم في جانبه ، وكان هناك رومي اخر يدعى ميكا نيلس وكان قد جاء من القسطنطينية مع الماركيز واعتقد الاخير بانه هديق له ، ولكنه رحل فجأة بون ان يقول كلمة ، الى مدينة ارتا حيث تزوج ابنة

- ٤٤٩٢ -

رومي ثري حصل على ارضه من الامبراطور ، وبعد ان استولى على هذه الارض لنفسه بدأ بشن الحرب على المرکيز .

وفي هذا الوقت كانت كل الارض من القسطنطينية حتى سالونيك في سلام والطريق من المدينة للاخرى سالما ، حتى مع انه كان يلزم اثني عشر يوما كاملة لقطع المسافة بينهما ، كان الناس يستطيعون المجيء والذهاب كما يحلو لهم وقد مضى وقت طويل الان حتى اصبحنا في نهاية ايلول ، وحكم الامبراطور في القسطنطينية ، وكانت الارض هادئة تحت حكمه ولم يحدث شيء ذو أهمية في المدينة سوى وفاة اثنين من اجود الفرسان هما يوستاش كانتلو وايمري دي فيلروا وكان هذا موضع اسى عظيم لاصدقائهما .

الفصل الخامس عشر

حرب ضد الروم

تشرين أول ١٢٠٤ - أذار ١٢٠٥

وبدا الان تقسيم الاراضي ضمن الامبراطورية ، واخذ البنادقة حصتهم المستحقة ، وتسلم الفرنسيون حصتهم . ولكن ما ان حاز كل رجل على ارضه حتى بدأت الشهوة للتملك التي كانت السبب في كثير من الشرور في العالم ومنعت الناس من ان يعيشوا في سلام ، وبدا الكل بدرجة اكبر او اصغر ، في ادارة مقاطعاتهم بقليل من الاهتمام بحقوق الاخرين ، حتى بدا الروم يكرهونهم ويضمرون الاستياء والسخط ضدهم في قلوبهم ،

واعطى الامبراطور بلديون للكونت لويس بوقية نيقية التي كانت تقع على جانب المضيق المواجه لتركيا ، وكانت احد اهم اقطاعات الامبراطورية ، ولم تكن الارض على جانب المضيق على اي حال قد وضعت بعد تحت ادارة الامبراطورية بل كانت مناهضة له . وبعد ذلك بوقت قصير اعطى الامبراطور بوقية فيليبو بولس لرنيزدي تريت

وارسل الكونت لويس نحو مائة وعشرة من فرسانه للاستيلاء على اراضيه له ، مع بيير دي براسيو ومع بابين دي اور ليانز كقائد فتركوا القسطنطينية يوم عيد جميع القديسين وابتعدوا عبر (البوسفور) مضيق سان جورج الى ابيدوس ثم مضوا الى سبيفا وهي مدينة على الساحل يسكنها اللاتين ومن هناك بدأوا في شن الحرب ضد الروم .

وفي نحو هذا الوقت هرب الامبراطور مرزوفلوس الذي سملت

عيناه - وهو نفسه الذي قتل ابن الامبراطور اسحق اليكسيوس والذي كان الصليبيون قد احضروه معهم - الى القسطنطينية سرا عبر المضيق مع عدد قليل من البطانة من الرجال ، ولكن لتيريش فون لويس ، وقد سمع بهروبه من بعض من بلغ عنه ضده ، أمر باعتقاله واعادته الى الامبراطور بلدوين في القسطنطينية ، وسر الامبراطور باعتقاله وسأل شعبه ماذا يفعل برجل قتل اميره بمثل هذه الخيانة .

وتم اقرار ايقاع العقاب التالي : في اتجاه مركز القسطنطينية كان يقوم عمود رخامي من اعلى الاعمدة واجملها ، حيث لم تر عين انسان أجمل على الاطلاق وكان على مرزوفلوس ان يؤخذ الى قمة هذا العمود ويدفع الى القفز منه على مرأى كل الناس ، لان مثل هذا العمل من القصاص الموائم يجب ان يشاهد من قبل كل الناس ، واقتيد مرز وفلوس الى العمود واخذ الى القمة ، في حين تحشد كل الناس في المدينة ليروا هذا المنظر المدهش ، ثم القى به الى الاسفل وسقط من مثل هذا الارتفاع حتى ان كل عظم في جسمه قد تحطم حالما وصل الى الارض .

والان دعوني اخبركم بمصادفة مدهشة فعلى ذلك العمود الذي سقط منه مرز وفلوس كانت هناك رسوم من مختلف الانواع محفورة في الرخام وبينها كان رسم يمثل امبراطور يسقط ناكسا ، فقد كانت هناك نبوءة تحدثت قبل وقت طويل بان امبراطورا سيلقى به من فوق العمود نفسه ، وهكذا تحققت النبوءة التي صورت على الرخام تماما .

وحدث في نحو هذا الوقت ان الماركيز دي مونتفرات فيما كان في جوار سالونيك انقض على الامبراطور اليكسيوس وهو نفسه الذي سمل عيني اخيه ، وسجنه مع زوجة الامبراطور ، وارسل الماركيز الحذاء القرمزي والاردية الامبراطورية الخاصة باليكسيوس الى اميره الامبراطور بلدوين في القسطنطينية ، وهي مجاملة لطيفة

اكسبته عرفان الامير وامتنانه ، وفيما بعد ارسل الماركيز الامبراطور اليكسيوس الى مونتفرات ليودع السجن هناك ، وبعد ذلك بوقت غير بعيد يوم عيد القديس مارتن ترك هنري أخو الامبراطور القسطنطينية ومعه نحو مائة وعشرين من اجود الفرسان وسار بمحاذاه الضيق الى قناة ابيدوس ومن هناك ابصر عبر الماء الى مدينة ابيدوس التي وجدها جيدة التموين الوفير من الاشياء الجيدة مثل القمح واللحم وكل شيء اخر يمكن للانسان ان يحتاج اليه ، وبعد أخذ المدينة مركز رجاله هناك ثم بدا هو ايضا في شن الحرب ضد الروم من حوله ، وبدأ الارمن من تلك المناطق ، وكانوا اكثر الناس هناك بالانضواء تحت لوائه لانهم كانوا يمقتون الروم .

وفي نحو هذا الوقت نفسه غادر رنيير دي تريت القسطنطينية مع فرقة اخرى من مائة وعشرين فارسا وذهب صوب فيلبو بوليس التي اعطاها له الامبراطور ، فركب لعدة ايام حتى نقطة في مكان ما وراء ادرنة حيث بلغ غايته ، ورحب به اهل فيلبو بوليس كامير لهم وسروا برؤيته وكانوا في ذلك الوقت في أمس الحاجة للمساعدة لان الملك جوها نيتزا ملك والاشيا كان يشن هجمات وحشية عليهم ، وجاء رنييه دي تريت لمساعدتهم بفعالية جعلت منه سييدا على قسم كبير من الارض ، وتحول عدد كبير ممن كانوا يقفون من قبل جانب جوها نيتزا اليه ، وفي ذلك القسم من الامبراطورية ايضا كان القتال ضاريا جدا ، وفي هذه الاثناء كان الامبراطور قد ارسل نحو مائة فارس عبر مضيق سان جورج الى القسم من الامبراطورية المقابل للقسطنطينية ، وكان يتولى القيادة ماكير - دي سانت - مينهول يساعده ماثيو - دي النكورت وروبرت دي رينسوا وبعد نزولهم الى البر ركبوا في اتجاه نيقوميديا التي تقع على شواطئ الخليج وهي على مسيرة يومين بالبحر من القسطنطينية ، وحالما سمع الروم انهم يتقدمون اخلوا نيقوميديا وهربوا وهكذا اخذ رجالنا مراكزهم في المدينة واقاموا حامية فيها ، واصلحوا التحصينات ومن هذه المنطقة بدأوا في شن الحرب على الروم كما كان الآخرون يفعلون

في كل مكان وكان على الارض الواقعة عبر المضيق رومي يدعى تيودور لاسكارس كامير عليها ، وكان متزوجا من ابنة ذلك الامبراطور اليكسيوس الذي سمل عيني اخاه ، والذي فر من الفرنجة فيما بعد من القسطنطينية ، وترك لاسكارس الارض في عهدة زوجته وتابع الحرب ضد الفرنسيين على الجانب البعيد من المضيق حيثما كانوا .

وبقي الامبراطور بلدوين نفسه في القسطنطينية مع الكونت لويس وفرقة صغيرة كما كان ايضا الكونت هوغ دي سانت بول الذي كان يعاني من هجمة شديدة من النقرس (داء المفاصل) اصابت ركبته وقدميه ، وبوج البندقية الذي كان اعمى تماما ولم يمض وقت طويل على اي حال قبل ان يأتي جيش كبير جدا من الرجال بينهم الذين تركوا الجيش وابتعدوا من مواني أخرى عبر البندقية بطريق البحر عائدين من سورية وكان بينهم اتين دي برش ورنيو دي مونتميريل .

وكان كلاهما ابنا عم للكونت لويس الذي رحب بهما بلطف كبير وعبر عن سروره بوصولهما ورحب بمجيئهما ايضا الامبراطور بلدوين وبقية الناس في القسطنطينية ، لان كليهما كان من رجال الطبقة الراقية جدا ، ومن نوي النفوذ الكبير ، وكانا قد احضرا معهما اعداد كبيرة جدا من الناس الجيدين الاخرين ، وبين هؤلاء هوغ صاحب طبرية وتيير دي تنبر موند الى جانب عدد كبير من القوات السورية ، فرسان ، وخيالة سريعة ومشاة ، وبعد وصولهم بوقت قصير منح الامبراطور بوقية فيلاد لفا لياتين دي برش

وسبب موضوع واحد بين الاخبار التي بلغت في ذلك الوقت للامبراطور بلدوين كآبه عظيمة ، ذلك ان زوجته الكونتيسة ماري وكانت عاجزة عن الذهاب معه في الحملة الصليبية لانها كانت حاملا تخلفت في فلاندرز حيث ولدت له ابنة ، وحالما استرثت عافيتها من الولادة انطلقت للحاق بزوجها في بلاد ماوراء البحار ، وابتعدت من

ميناء مرسلية ، وكانت قد نزلت لتوها في عكا عندما جلب لها المرسل من القسطنطينية الخبر بان المدينة قد تم الاستيلاء عليها ، وان اميرها قد انتخب امبراطورا ، مما كان مبعث سرور لكل الناس من المسيحيين ، وبسماح هذه الاخبار قررت السيدة ان تلحق بزوجها على الفور ، ولكنها وقعت فريسة للمرض وتوفيت ، واصيب كل النصرانية بالحزن على وفاتها لانها كانت سيدة طيبة حقا وكانت موضع تقدير كبير من الجميع .

ونقلت انباء هذا الحدث المحزن الى القسطنطينية من قبل الناس الذين وصلوا لتوهم بطريق البحر فكانت شجنا عظيما للامبراطور بلويين كما كان لكل البارونات في الامبراطورية لانهم كانوا يتطلعون بشوق لتكون امبراطورة عليهم .

وفي هذه الاثناء حصن الرجال الذين ذهبوا الى سيفيا بامرة بييردي براسيكودي اورليانز قلعة بانورموس وتركوا حامية لحراستها ثم ركبوا متجهين للاستيلاء على الارض ، وجمع تيودور لاسكارس من جانبه اكبر قوة ممكنة ، وفي يوم عيد سانت نيكولاس الذي يتقدم عيد حمل العذراء المباركة التقى الجيشان في سهل تحت قلعة بومانوس وبدات معركة كان رجالنا فيها في وضع سيء غير موات لدرجة كبيرة لانه كان لدى الروم عدد مدهل حقا من الرجال ، في حين انه من جانبنا بصرف النظر عن عدد من السرجندية الخيالة لم يكن لدينا اكثر من مائة واربعين فارسا ، ولكن الله يسير الامور كما يشاء ، وبارادته الطيبة تغلب الفرنسيون على الروم وألحقوا بقواتهم الهزيمة ، ووقعوا بهم خسائر فادحة وخلال الاسبوع سلموا قسما كبيرا من الاراضي لجيشنا ، وسلموا قلعة بومانوس القوية التحصين ، ومدينة لوباديوم التي كانت واحدة من اجمل مدن تلك الارض وابولونيا التي كانت تستقر على شاطئ بحيرة المياه العذبة ، وكانت واحدة من اقوى الحصون واكثرها جانبية مما يمكن ان يوجد في اي مكان ، وباختصار تحول كل شيء لصالح جماعتنا وبمعونة الرب نجحوا في اخضاع الارمن لارانتهم ، وبعد ذلك بوقت

قصير وبناء على نصيحة الارمن خرج هنري اخو الامبراطور بلدوين من ابييوس ، بعد ان ترك حامية في المدينة وركب متجها الى ادراميتيوم ، وهي مدينة على الساحل على مسيرة يومين ، واستسلم له هذا المكان وكذلك الكثير من المنطقة المحيطة ، فمركز قواته في ادراميتيوم لانها كانت جيدة التموين بالقمح واللحم والمؤن الاخرى ، ومن تلك القاعدة شن الصرب على الروم في الريف في تلك الاحواز .

وبعد هزيمته في بومانينوس حشد تيودور لاسكارس من الناس بقدر ما يستطيع حتى جمع جيشا عظيما . ووضعه تحت قيادة اخيه كوندستانتين ، وكان واحدا من اقدر رجال الروم في الامبراطورية ، الذي ركب بعد ذلك رأسا في اتجاه ادراميتيوم ، وما ان سمع هنري اخو الامبراطور من الارمن بان قوة عظيمة كانت تسير ضده تاهب للملاقاة العدو ، ونظم قواته في تشكيل قتالي وكان معه بعض الرجال الجيدين جدا منهم على سبيل المثال بلدوين دي بوفوار ونيكولاس دي ميلي واندسودي كايو وبيتر يشفون لوس وتييري دي تيرموند

وفي عشية منتصف الصوم الكبير وصل كوندستانتين لاسكارس وجيشه الكبير الى امام ادراميتيوم ، وحالما سمع هنري انه قد جاء دعا قادة جيشه معا وأخبرهم انه لن يسمح بأي حال بأن يحاصر في المدينة ، ولكنه سينهب لملاقاة العدو ، وتقدم الروم بكل قوتهم في مجموعات كبيرة من الخيالة والمشاة ، وسار رجالنا نحو خارج المدينة وبدأوا في مهاجمتهم ، وجرى قتال ضار كبير مع مواجهة يدا بيد ولكن بمعونة الرب هزم الفرنسيون الروم وردوهم في فوضى ، وقتل واسر العديد وأخذت غنائم كثيرة .

وبعد ذلك عاش الفرنسيون في سلام وراحة مع مؤونة وافرة من الطعام لان اهل الارض انحازوا الى جانبهم ، وبدأوا يجلبون لهم بعض المنتجات من مقاطعاتهم .

واندع للحظة الكلام عن الناس من القسطنطينية ولتعد الى
المركيز دي مونتفرات ، لقد ذهب كما تعرفون الى سالونيك ثم سار
ضد ليون سفور الذي كان يحتفظ بنوبليا وكورنث وهما من القوي
المدن في العالم ، وبدا رجاله في مرض الحصار على كلا المكانين في
الوقت نفسه ، وبقي جاك انافسنس مع كثير اخرون من الرجال
امام كورنث ، وعسكر الباقون امام نوبليا وحاصروها .

دعوني اخبركم الان بشيء وقع في تلك المنطقة حوالي الوقت نفسه
غادر جيوفري فيلها رين الشاب وهو ابن اخي جيوفري الاخر الذي
كان الان مارشال رومانيا وشامبين سورية في صحبة الذين وصلوا
حينئذ الى القسطنطينية ، وحدث بالصدفة ان حملت الريح سفينته
الى ميناء ميثون حيث اصاب باضرار كبيرة حتى انه اضطر الى
قضاء الشتاء في تلك الاجزاء ، وما ان سمع رومي معين كان نبلا
كبيرا في تلك البلاد بوصوله ، حتى جاء لرؤيته وهياه بلطف كبير
جدا ، وقال سيدي لقد غزا الفرنجة القسطنطينية وانتخبوا
امبراطورا فاذا انضممت الي فاني اعد ان اكون صديقا مخلصا لك
وسندتولي على كثير من هذه الاراضي مما ، وهكذا عقدا حلفا وثق
بالقسم واستوليا معا على قسم كبير من البلاد ، ووجد جيوفري دي
فيلهارين دائما في هذا الرومي حليفا مخلصا جدا .

ولكن الاحداث تتحول حسب مشيئة الرب ، فقد مرض الرومي
وتوفي وثار ابنه ضد جيوفري فيلهارين وخرق العهد معه ، وتحولت
معظم الحصون التي وضع بها جيوفري حاميات ضده ، ووصلت
الانباء الى الشاب بان المركيز دي مونتفرات كان يحاصر نوبليا ،
فذهب الى هناك للانضمام اليه باكبر عدد من الرجال امكته جمعه ،
وبعد ان ركب عبر الارض ستة ايام في خطر عظيم وصل الى معسكر
المركيز ، حيث رحب به ترحيبا حارا وعومل باكبر لطف من قبل
المركيز ، وكل من كانوا معه ، وكان هذا صميحا ومناسبا فقط
بسبب انه كان فارسا شجاعا وشريفا جدا .

وكان يمكن للمركيز ان يمنحه منحة كريمة من الاراضي والاموال ليقيه في خدمته ، ولكن لم يكن ليقتبل شيئا ، وبدلا من ذلك ذهب الى غوليوم دي شامبلت الذي كان صديقا حميما له وقال له : « لقد جئت لتوي ياسيدي من ارض مزيمرة جدا تدعى المورة فاجمع من الرجال بقدر ما تستطيع واترك هذا الجيش وبمعمونة الرب سنذهب لغزوها وعندما تستولي عليها سأخذ منك اي جزء يسرك ان تعطيه لي وسأخدمك كتابع لك »

ونهب وليم دي شامبلت الذي كان له ثقة عظيمة في جيوفري وكان معجبا به إلى المركيز ليخبره بما اقترح ، وسمح المركيز لكليهما بالذهاب إلى المورة وهكذا غادر وليم دي شامبلت وصديقه الشاب معسكر المركيز ، وأخذا معهما حوالي مائة فارس إضافة إلى عدد جيد من الخيالة وبخلاف أرض المورة وركبا متابعين مسيرهما حتى وصلا إلى ميثون ، وسمع ميكاليس بأنهما وصلا إلى المورة مع مجموعة صغيرة من الرجال فقط ، وهكذا جمع عددا مدهشا من شعبه وركب وراءهما معتقدا أنهما قد أصبحا بحكم الأسرى بالفعل وفي يديه .

وعندما سمع رجالنا بأنه قادم أصلحوا الاسوار بسرعة حول ميثون ، وكانت خبرة لزمان طويل مضى ، وتركوا أمتعتهم في المدينة مع الخدم لحراستها ، ثم ركبوا مسيرة يوم عن المدينة ، واتخذوا وضع الاستعداد للمعركة بأكبر قدر من الرجال لديهم ، وبدا كما لو أن الأرجحية كانت ضدهم ، لأنه لم يكن لديهم أكثر من خمسمائة من الخيالة في حين أن خصومهم كان لديهم فوق خمسة آلاف بكثير ، ومع ذلك حيث أن سير الحوادث يجري بأمر الرب ومشيتته ، فإن رجالنا عندما قاتلوا الروم ردهم وهزمهم وقد خسر العدو كثيرا في هذه المواجهة ، في حين أننا من جانبنا ربنا عددا عظيما من الخيول والاسلحة والدرع ، إضافة إلى كمية كبيرة من الغنائم الأخرى . وهكذا عاد شعبنا إلى ميثون وهو مبتهج جدا وراض تماما .

وركبوا فيما بعد إلى كورون وهي مدينة صغيرة على الساحل ، وأحكموا الحصار حولها ، ولم يكونوا قد حاصروها طويلا قبل أن يستسلم المكان ، وأعطاهم وليم لجيوفري فيلهاردين الذي أصبح هكذا تابعا له ، ووضع جيوفري حامية فيها . ونهبوا بعد ذلك إلى حصن كلاماتا وكان جميلا جدا وجيد التحصين وكان أخذه عملا طويلا شاقا ، ولكنهم مكثوا أمامه حتى استسلم لهم ، وبعد ذلك بدأ الروم في العودة يستسلمون بأعداد أكبر مما حدث من قبل مطلقا .

وكان المركيز دي مونتفرات ما يزال يحاصر نوبليا ، ولكن دون أن ينجح لأن المكان كان محصنا بقوة جدا ، وفي جهودهم لأخذه أنهك كثير من رجاله تماما واستمر جاك دي افسنس من جانبه في محاصرة كورنت حيث نزل مع المركيز . ولاحظ سفور الذي بقي في المدينة وكان رجلا داهية جدا ومخادعا أن لدى جاك جيش صغير فقط من الرجال ، ولم يكن لديه حراسة جيدة ، وهكذا خرج في فجر ذات صباح من المدينة بكل قوته ، ومضى بعيدا إلى حيث الخيام وقتل عددا كبيرا من رجالنا قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى سلاحهم .

وبين أولئك الذين قتلوا كان درو دي استرون وكان فارسا جيدا جدا وباسلا وقد كان الحداد على وفاته عظيما ، وجرح جاك دي افسنس الذي كان يتولى القيادة جرحا بليغا في الساق ولكن الذين كانوا معه في تلك المناسبة أكدوا أنهم جميعا مدينون بنجاتهم لسلوكه الشهم ، لقد كانوا في الواقع قد أصبحوا قريبين جدا من فقد أرواحهم ، ولكنهم بعون الرب أجبروا العدو على التراجع إلى القلعة .

والآن كان الذين بطبيعتهم كانوا قادرين ما يزالون يضمرون أفكارا خيانية في قلوبهم وكانوا يعتقدون في ذلك الوقت أن الفرنسيين كانوا مبعثرين جدا في الأرض ومشغولين بانهماك شديد عن الاهتمام بأي شيء خارج شؤونهم الخاصة ، واعتقدوا أنه يمكنهم بسهولة أن يتمكنوا منهم بشكل أفضل بوسائل المكر

والخداع ، لهذا اختاروا سرا مبعوثين من كل المدن الامبراطورية وارسالوهم إلى الملك جوهانيتزا ، بصرف النظر عن انه كان لزمان طويل عدوا لهم ، وكان مايزال في حرب معهم ، وأخبر هؤلاء المبعوثون جوهانيتزا أن الروم يقترحون جعله امبراطورا وانهم سيضعون أنفسهم كلية بين يديه ، وسيقتلون كل الفرندسيين والبنادقة في الامبراطورية ، وأقسموا نيابة عن الروم أن يطيعوه كأمر لهم ، طالما أنه من جانبه سيلتزم بالدفاع عنهم وحمايتهم كما يحمي رعاياه ، وصدق هذا الميثاق من قبل كلا الطرفين ، وفي نحو هذا الوقت كان شعبنا في القسطنطينية يعاني من خسارة عظيمة فالكونت هورغ الذي كان مصابا بشدة بالانقرس كان ملتزما للانراش منذ زمان طويل ، وزاد مرضه جدا حتى توفي ، وسبب هذا الحدث المؤسف فراغا عظيما ، وكان في الواقع كارثة شنيعة ، وبكى أصدقاؤه ورجاله بحرارة موته ودفن في كنيسة سانت جورج في مانفانا .

وكان الكونت خلال فترة حياته أميرا على معقل بيموتيكاجاميل جدا ، والجيد التحصين وكان قد وضع كمامية فيه بعضا من فرسانه ومشااته ، بعد وفاته بوقت قصير قام الروم في مواصلة التزامهم بقتلهم لملك والأشياء بهجوم غادر على الرجال في هذا الحصن وقتلوا العبيد وأخذوا أعداد كبيرة أسرى ، ونجا القليل ، وهرب النين نجوا بحياتهم إلى أدنة التي كان البنادقة يحتفظون بها في ذلك الوقت .

وبعد ذلك بوقت غير طويل هب الروم في أدنة في ثورة مسلحة ، وفر الرجال النين كانوا متمركزين هناك لحراسة المدينة منها بسبب الحظر العظيم على حياتهم ، وبلغت أنباء ذلك الامبراطور بلدوين الذي كان في القسطنطينية مع الكونت لويس وحفنة صغيرة من الرجال ، وتركتهم مضطربين جدا وفزعين ، ومن ذلك الوقت وماتلاه بدأت أخبار بالقدر نفسه من الكراهة تصل يوميا بأن الروم كانوا يثورون في كل مكان ، وحيثما كانوا يجدون الفرندسيين والبنادقة الذين يحتلون الأرض كانوا يقتلونهم .

ونهب الرجال الذين هربوا من أدنة من كل من البنادقة
والآخرين ممن كانوا معهم إلى تكراو وهي مدينة كانت مازال في يد
الامبراطور بلدين وهناك وجدوا وليم دي بلانفيل ، الذي كان
يحرس المكان لاميره ، ويفضل المساعدة والتشجيع اللذين قدمهما
لهم ، ولانه وافق أيضا على أن يصحبهم مع أكبر عدد من الرجال
أمكنه تأمينه عادوا إلى مدينة كانت تبعد نحو اثني عشر فرسخا
وقدعى أركاديوبولس ، وكانت تابعة للبنادقة ، واذ وجدوها خالية
دخلوها واحتلوها .

وبلال ثلاثة أيام تجمع روم تلك المنطقة معا . ومن كل مكان
ضمن نطاق مسيرة يوم من أركاديوبولس ، وتحشدوا لمحاصرة
المدينة ، ثم بدأوا بهجوم ضار مرعب من كل الجوانب . ودافع
رجالنا عن أنفسهم بشكل رائع ، وفتحوا البوابات واندفعوا
خارجين منها بكل قوة لمهاجمة العدو ، وبمشيئة الرب هزم الروم
وبدا رجالنا يصرعونهم ويقتلونهم ثم مع هروب العدو ، لاحقوه
مسافة فرسخ كامل وهم يقتلون أعداها أيضا ويستولون
على عدد عظيم من الخيول وكثير من الغنائم الأخرى .

وهكذا عادوا والسرور يملأهم إلى أركاديوبولس وأرسلوا أنباء
انتصارهم إلى الامبراطور بلدين في القسطنطينية الذي ابتهج كثيرا
بسماعها ، ومع ذلك لم يتجرا رجالنا على احتلال المدينة بل تابعوا
مسيرتهم في اليوم التالي وتركوها مهجورة ، وعادوا إلى تكراو
وهناك بقوا في حالة كبيرة من الخوف ، وهم يخشون من الروم الذين
في المدينة وقد ماكانوا يخشون الذين خارجها ، حيث أن هؤلاء الناس
قد اشتركوا في القسم الذي أدى لملك والاشيا ، والتزموا بخيانة كل
الفرنجة ، والواقع أن عددا غير قليل من شعبنا لم يجرؤ على البقاء
في تكراو ، بل أخذوا طريقهم عائدين إلى القسطنطينية .

وعند هذه النقطة التقى الامبراطور بلدين والكونت لويس ودوج
البندقية ، وقد أدركوا أنهم يفقدون تدريجيا كل الامبراطورية لمناقشة

الأمور ، وكنتيجة اتفقوا على أن على الامبراطور أن يأمر أخاه هنري الذي كان في حينه في ادرا ميثيوم بأن يتخلى عن كل ما استولى عليه ، وأن يأتي لمعاونتهم ، وأرسل الكونت لويس من جانبه رسالة إلى بايين دي أورليانز وبيير دي براسيو ، وكل الرجال الذين كانوا معهم وأخبروهم أن يتخلوا عن كل ما استولوا عليه سوى المدينة الساحلية سبيفا ، وكان عليهم أن يتركوا فيها حامية من أقل عدد ممكن من الرجال في حين يأتي البقية لتعزيز القوات التي على الجانب الآخر من المضيق .

وبعد ذلك أصدر الامبراطور تعليماته إلى ماكيردي سانت مينهولد وماثيودي والنكورت ، وروبرت دي رونسووا ، الذين كانوا في نيقوميثيا مع نحو مائة فارس بأن يتركوا ويحضروا لمساعدتهم .

وبناء على أوامر الامبراطور ترك جيوفري فيلها رين مارشال رومانيا وشامبين ترك القسطنطينية مع مانسيير دي آيل ، وأكبر عدد أمكنهما جمعه من الرجال ، وكانوا قلة إذا أخذنا بالاعتبار أن كامل الامبراطورية كانت في طريق الضياع ، وركبوا إلى تكلرو وهي على مسيرة نحو ثلاثة أيام من القسطنطينية ، فوجدوا هناك وليم دي بلانفيل وكل الناس الذين معهم في حالة عظيمة من الخوف ، مع أنهم اطمأنوا كثيرا بوصول المارشال ورفاقه ، وأمضى الزوار أربعة أيام في تكلرو ، وبينما كانوا هناك أرسل الامبراطور بلدوين من التعزيزات بقدر ما يستطيع من القوات التي قدمت الآن إلى القسطنطينية ، حتى أنه بحلول اليوم الرابع كان هناك ثمانين فارسا في المدينة .

ثم انطلق جيوفري فيلها رين مرة أخرى مع مانسيير دي آيل ورجالهما ، وركبوا حتى وصلوا إلى أركاديوبولس ، حيث توقفوا تلك الليلة ، وأمضوا يوما هناك قبل أن يتحركوا نحو بورغار فيغون ، وكان الروم قد أخذوا هذه المدينة ، وهكذا أمضوا الليلة هناك ، وفي اليوم التالي تابعوا الركوب إلى نيكيتزا ، وهي مدينة

جميلة جدا وجيدة التحصين ومزودة بوفرة بكل مايمكن أن يحتاجه المرء ، فوجدوا أن كل الروم قد تركوا المكان وذهبوا إلى أدرنة ، ولكن حيث أن نيكيتزا كانت على بعد تسعة فراسخ فقط من المدينة التي تجمع فيها عدد عظيم من أفراد العدو ، قرروا الانتظار حيث كانوا حتى يصل الامبراطور بلدوين .

ودعوني اخبركم الآن بحادثة استثنائية ، إن رينيردي تريت ، الذي كان في فيليبوبولس على مسيرة تسعة أيام تماما من القسطنطينية ، مع نحو مائة من الفرسان هجره ابنه رنيير واخوه جيلز وابن أخيه جاك دي بونديز وصهره اكاردي فيردون واخذوا معهم نحو ثلاثين من فرسانه وتركوه كما يمكنك أن تتخيل في خطر عظيم ، وكان هؤلاء الرجال قد اعتقدوا أنه بإمكانهم أن يصلوا سالمين إلى القسطنطينية ، ولكنهم وجدوا أهل البلاد في ثورة ضدهم وهزموا في المعركة وأخذهم الروم أسرى وسلموهم فيما بعد إلى ملك والاشيا حيث أمر بقطع رؤوسهم ، وقد شعر شعبنا كما يمكنك أن تؤكد لكم بشفقة قليلة على هؤلاء الرجال الذين تفرقوا بمثل هذه الطريقة المشينة بالنسبة لرجل كانوا ملتزمين بواجب معاملته بطريقة أخرى تماما .

وعندما رأى بعض فرسان رنيير الآخرون تخلي الآخرين عنه هكذا ، وهم الذين كانوا مرتبطين به بروابط أوثق من روابطهم هم به ، شعروا بخشية أقل من الخجل ، وفر نحو ثمانون منهم جماعة ومضوا من طريق آخر ، وهكذا ترك رنييردي تريت محاصرا من قبل الروم مع القليل جدا من رجاله ، لأنه لم يكن معه في الواقع أكثر من خمسة عشر فارسا في المجموع في فيليبوبولس وفي ستيانماكا وهو حصن قوي جدا كان تحت يده ، حيث بقي محاصرا فيما بعد زمانا طويلا جدا .